@Tafsircenter

أندرياس جوركي
Andreas Görke

تفسير آية انشقاق القمر في التفسير الحديث وفي الإنترنت

ترجمة
د. مصطفى حجازي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بأندرياس جوركي (Andreas Görke)**:**

حاصل على الدكتوراه من جامعة هامبورج، وهو محاضر الدراسات الإسلامية بجامعة إدنبرة، تتركّز اهتماماته في الإسلام المبكّر، وسيرة النبيّ محمد، والتفسير، والفكر الإسلامي الحديث، له عدد من الكتابات في هذا السياق.

مقدمة[1]:

انصبّ الاهتمام الأكبر للدراسات الغربية للتفسير على دراسة التفاسير التراثية بالأساس، ولكن بدأ الاهتمام يتزايد في العقود الأخيرة بالتفاسير والدراسات التأويلية الحديثة والمعاصرة، كجزء من محاولة فهم مدى استمرارية حقل التفسير الإسلامي، والعلاقة التي تربط النتاج الحديث والمعاصر بالنتاج التقليدي الطويل والمتنوّع، وفهم الطبيعة الخاصّة للتفاسير الحديثة والمعاصرة والتنوّع الذي تنطوي عليه ومدى الجدة في نتاجها.

في هذه الورقة يحاول أندرياس جوركي أن يوسّع دائرة الدراسة للتفاسير المعاصرة، حيث لا يتوقّف عند التفاسير المكتوبة وحدها، بل يوسع الإطار ليشمل التفاسير على الإنترنت التي يقدّمها (العَوَام)، بالإضافة للاتساع الكبير في الرقعة الجغرافية التي يتناولها والتي تشمل البلاد العربية وتركيا والهند، وهذا من أجل إضافة طبقة جديدة من التساؤلات؛ بالتساؤل حول علاقة التفاسير المعاصرة الجديدة بالإقليم الجغرافي الذي تنتمي إليه، ويضع جوركي تفسير آية انشقاق القمر كحالة يدرس من خلالها التفسير المعاصر ويحاول الإجابة عن هذه التساؤلات.

---

(١) قام بكتابة المقدّمة والتعليقات الواردة داخل نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات).

ينطلق جوركي من تحديد ثلاثة تفسيرات تراثية للآيات، ثم يحاول فهم العلاقة بين التفاسير الحديثة والمعاصرة وبين هذه التفسيرات الثلاثة، سواء على مستوى استمرارية هذه التفسيرات، والتفسيرات التي تمّت إضافتها، أو على مستوى مراقبة الآليات الحجاجية التي قدّمها هؤلاء المفسِّرون من أجل الحجاج عن تفسيراتهم سواء الموروثة أو الجديدة، حيث يبدو -وَفقًا له- أنّ قبول بعض المعاصرين ببعض التفسيرات التراثية لم يتمّ بذات الآليات التقليدية، بل إنّ بعض هذه التفسيرات يتمّ قبوله عبر رفض الآليات القديمة وافتراض آليات معاصرة مثل الإعجاز العلمي والعددي وغير ذلك.

تأتي أهمية هذه الورقة من كونها تلقِي الضوء على اشتغال غربي بالتفسير الإسلامي يهتمّ بدراسة النتاج التفسيري الحديث والمعاصر في بعض المساحات، ويحاول إبراز مدى تشعّبه وتشابكه، وبحث حجاجاته وآلياته وصِلَته بالتقليد التفسيري السابق على الحداثة وطبيعة علاقته بالآليات والمرجعيات التراثية، وهو نمط من الدراسة بدأ يتزايد في الدراسات الغربية المعاصرة حول التفسير الإسلامي؛ لذا فمِن المفيد أن يطّلع عليه الدارسون العرب.

الدراسة[١][٢]

تمهيد:

لم ينل تخصّص التفسير الحديث للقرآن الكريم عناية بحثية كبيرة مقارنةً بالعلوم الإسلامية الأخرى[٣]، لكن بجانب بعض الدراسات العامة القليلة التي توضح الاتجاهات العامة في التفسير الحديث للقرآن[٤]، تواجدت في المقام الأول أعمال تناولت بعض الأعمال المنفردة في تخصّص علوم القرآن، أو

---

(١) العنوان الأصلي للدراسة هو:

Die Spaltung des Mondes in der modernen Koranexegese und im Internet

وقد نشرت في مجلة عالم الإسلام، إصدار رقم ٥٠ (٢٠١٠)، ص٦٠- ١١٦.

(٢) ترجم هذه المادة، الدكتور/ مصطفى حجازي، مدرس بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (اللغة الألمانية).

(٣) ما يذكره المؤلّف من ضعف العناية بالتفسير الحديث للقرآن فإنه يقصد به الحقل الغربي كما سيظهر من الكتابات التي سيذكرها بعد. (قسم الترجمات).

(٤) نخصّ بالذكر هنا أعمالَ كلٍّ من:

J. M. S. Baljon, Modern Muslim Koran interpretation (1880- 1960), Leiden 1968.

J. J. G. Jansen, the interpretation of the Koran in modern Egypt, Leiden 1974.

وجدير بالذِّكْر هنا النظرة العامة التي قدمتها روتراد فيلانت (Rotraud Wielandt) من خلال كتابها:

„Exegesis of the Qurʾān: Early Modern and Contemporary" in der Encyclopaedia of the Qurʾān, Bd. 2, 124 142.

وقد قدم فليكس كونر (Felix Körner) تلخيصًا متبوعًا بالتعليقات على هذه الأنماط الثلاثة من خلال العمل الآتي:

Revisionist Koran Hermeneutics in Contemporary Turkish University Theology. Rethinking Islam, (Mitteilungen zur Sozial- und Kulturgeschichte der islamischen Welt, 15) Würzburg 2005, 33- 46.

تناولت بشكل منفرد المؤلِّفين الذين سطروا هذه الأعمال[١]. أمّا الدراسات المتعلقة بتفسير آيات القرآن أو بتفسير مواضيع بعينها فتتضمّن عادة استحضار ما نتج عن التفاسير التراثية وما جاء بعدها من تفاسير ما قبل الحديثة، أو أن هذه الدراسات على الأقل تركّزت بشكلٍ رئيس على ما أُنتج من تفسيرات في هذه الحقبة الزمنية. فكيف إذًا تُفسّر آيات بعينها في وقتنا الحالي وما الدور الذي تلعبه هذه الآيات في النقاشات الدينية، وما هي التفسيرات المختلفة التي أُنتِجت حول هذه الآيات؟ لا سيما أنّ هذه الأسئلة المطروحة لم تخضع بعد للبحث إلى حدّ كبير.

وبناء على ذلك يُمثّل التفسير المعاصر للقرآن حقلًا واعدًا للبحث، فالتفسير التراثي غالبًا ما يتّسم بكثرة التفسيرات والتوضيحات المتراصة جنبًا

(١) منها على سبيل المثال:

Jacques Jomier, Le commentaire coranique du Manâr. Tendences modernes de l'exégèse coranique en Égypte (Islam d'hier et d'aujourd'hui, 11), Paris 1954.
„Le Cheikh Ṭanṭāwī Jawharī (1862- 1940) et son commentaire du Coran", in: MIDEO 5 (1958), 115- 174.
J. J. G. Jansen, „Polemics on Mustafa Mahmud's Koran exegesis", in: Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants. Amsterdam, 1st to 7th september 1978, Leiden 1981, 110- 122.
Charles J. Adams, „Abū l-Aʿlā Mawdūdī's Tafhīm al-Qurʾān", in: Andrew Rippin (Hg.), Approaches to the History of the Interpretation of the Qurʾān, Oxford 1988, 307- 323.
Basheer M. Nafi, „Ṭāhir ibn ʿĀshūr: the Career and Thought of a Modern Reformist ʿālim, with Special Reference to His Work of tafsīr", in: Journal of Qurʾanic Studies 7 (2005), 1- 32.
Mustansir Mir, „Some Features of Mawdudi's Tafhīm al-Qurʾān", in: American Journal of Islamic Social Sciences 2 (1985), 233- 244.

إلى جنب[١]، حتى وإن كان بعضها مستبعَدًا بعض الشيء. ولأنه لا يوجد في الإسلام تلك السلطوية التي يمكن من خلالها انتقاء تفسير واحد بعينه على أنه ملزم، فإنّ القدرة على إقناع الآخرين بأكثر من تفسير من خلال تتبع مسار الحجج وترابطها ليست بالأمر السهل. وغالبًا ما استحضر المفسِّرون التراثيون مثل هذه التفسيرات التي اعتبرت من وجهة نظرهم مستبعدة وغير مقنعة. ومع أن التفسيرات الجديدة من حيث الشكل والمضمون يمكن أن تأتي مع الوقت، إلا أنها تبقى عادة بجانب التفسيرات القديمة، حيث لا يمكن أن تكون بديلًا لها، حتى وإن كانت تعمل على إثراء العملية التفسيرية. من هذا المنظور يمكن التحدّث عن الإسلام بوصفه حضارة تراكمية[٢].

على النقيض من هذا تعرّض الإسلام في العصر الحديث من قِبَل بعض الاتجاهات المؤثرة لتقيده خارج إطار التعددية والاختلاف، وهذا واضح من ازدياد الحركات الأصولية، التي تعتبر فقط بعض التفسيرات صالحة وتعبّر عن

(١) التفاسير من حيث موقفها من المعنى التفسيري؛ فمنها ما يجمع تركة المعاني ويرتبها، ومنها من يختصر المعاني ويقدمها بطريقة موجزة، وهناك الخط الذي يوازن ويرجح ويبين الصحيح من الغلط، وهذا الخط بارز أيضًا في الكتابات التفسيرية ولا يسع تجاوزه، ومن أبرز مؤلفاته تفسيرَي الطبري وابن عطية، وغيرهما. (قسم الترجمات).

(٢) انظر:

Marco Schöller, „Anfänge und »erste Male«, gesehen mit den Augen der Araber", in: Kurt Röttgers und Monika Schmitz-Emans, Anfänge und Übergänge, (Philosophisch-literarische Reflexionen, 5), Essen 2003, 28- 48, 44.

الرؤية الإسلامية، وينطبق نفس الأمر على خصومهم من التيارات الأخرى، حيث ترى هذه التيارات أن الجماعات الإسلاموية المختلفة بمواقفها تعتبر خارج الدائرة الإسلامية، ويمكن ملاحظة هذا التوجّه في شتى المجالات الأخرى.

تطور آخر ظهر مع ازدياد تفسير القرآن عن طريق الأشخاص الذين لا حَظّ لهم من العلوم التراثية الإسلامية، فبينما كان يُتوقع من المفسِّرين الذين جاؤوا في الحقبة الزمنية التي سبقت ظهور التفسير الحديث تمكّنهم من القرآن واللغة العربية وعلوم القرآن، إلى جانب قدرتهم على تناول مناهج التفسير؛ كتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنّة النبوية والروايات عن الصحابة والتابعين، فقد زادَت وبشكل مطّرد منذ القرن العشرين التفسيراتُ المعتمدة على الأشخاص دون وجود الخلفية العلمية الملائمة لذلك[١].

إذا ما أضفنا لذلك أنّ بعض التفسيرات المعاصرة التي بلغت شهرتها الآفاق جاءت بأقلام غير المتخصصين في الدراسات الدينية. كذلك أعطى وجود الإنترنت دفعة باتجاه هذا النوع من التفسير الذي أنتجه غير المتخصّصين من العوام، حيث صار الإنترنت ملاذًا لكلّ مَن أحسّ في نفسه القدرة على نشر

(١) قارن:

Abdullah Saeed, Interpreting the Qurʾān. Towards a contemporary approach, London, New York 2006, 21f.

آرائه بشكل علني حول معاني الآيات القرآنية. لذلك ينبغي أن يكون هذا هو موضوع البحث القائم: هل أثّرت هذه الاتجاهات المختلفة على التفسير الحديث للقرآن، وكيف كان هذا التأثير؟

لهذا السبب وقع الاختيار على قضية انشقاق القمر كنقطة محورية، لا سيما أنه تمّت معالجة الموضوع من قبل في التفاسير التراثية والمراجع الثانوية ذات الصِّلَة[1]، ومن ثم يمكن أن يكون هذا نقطة انطلاق للتركيز على التفاسير الحديثة الخاصة بالموضوع، والتي جاءت بعد ذلك. وتعتمد القصة الواردة عن انشقاق القمر في التراث الإسلامي على مصدرين؛ المصدر الأول: من خلال مجموعة من الروايات النبوية (الأحاديث) التي تناولت بشكلٍ مستفيض واختلاف واضح بين تلك الروايات في تفصيلاتها أنّ القمر قد انشقّ لنصفين في عهد محمد. أمّا المصدر الثاني للموضوع: فيكمن في القرآن الكريم من خلال سورة (القمر)، حيث بدأت السورة بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، وكما سنوضح لاحقًا، كيف أنّ الآية بلا شك تحمل في طيّاتها كثيرًا من التأويلات.

(1) Marco Schöller, Die Spaltung des Mondes. Untersuchungen zur Diskursivität im arabischislamischen Schrifttum, unveröffentlichte Habilitationsschrift, Universität Köln 2004.

كما أنه ليس من السهولة إيضاح، هل أنّ الروايات عن انشقاق القمر ظهرت بدايةً مع التفسير المتعلّق بالآية، أو أن التفسير للظاهرة غير مرتبط بالرواية، وبالتالي ارتبطت تلك الرواية بدايةً بشكل ثانوي بالآية التي تتحدّث عن انشقاق القمر، وهل من الممكن أن تكون الروايات قد دلّت بالفعل على ظاهرة فلكية حقيقية، كخسوف للقمر وقع على غير العادة، وبالتالي انعكس صداها في القرآن والروايات على حدّ سواء[١]؟

مع ذلك لن يمثّل هذا أمرًا رئيسًا أثناء طرح الموضوع: فتفسير الآية المتعلّقة بانشقاق القمر أمرٌ لازم على كلّ حال، كما يُتوقع من النقاشات المعاصرة حول الآية أن تصطدم مع ما أورده النصّ القرآني أولًا، ثم التراث المتعلّق بعلوم القرآن ثانيًا. إلى جانب ذلك لن يُعالج الموضوع فقط في إطار الأعمال المختلفة الخاصة بعلوم القرآن، بل ستتضمن المعالجة أيضًا وبشكلٍ واسع ما يُثار حول الآية من نقاش على شبكة الإنترنت.

(١) لمزيد من التوضيحات المختلفة حول ارتباط الرواية بالنصّ القرآني انظر: Schöller, Spaltung, 66- 69.

ماذا يعني التفسير الحديث للقرآن الكريم؟

لا يوجد إجماع حول مفهوم التفسير الحديث للقرآن الكريم[١]، لكن بدايته عادةً ما تُنسب للشيخ سيد أحمد خان (١٨١٧- ١٨٩٨)، أو الشيخ محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥)[٢]. كذلك لا يوجد اتفاق حول المفسِّرين الذين جاؤوا بعد ذلك، هل يمكن وصفهم بالمفسِّرين الحداثيين أم لا. لذا يقترح محمد أركون تفريقًا بين التفسير المعاصر والتفسير الحديث للقرآن، حيث يرى أنّ التفسير الحديث هو ذاك المصبوغ بالمنهج التاريخي النقدي. وعلى هذا الأساس يرى أركون أن التفسيرات الخاصّة بالطاهر بن عاشور والطبطبائي وسيد قطب تفسيرات معاصرة، لكن لا يمكن وصفها بالحديثة؛ لأنها مرتبطة إلى حدّ بعيد بالتفسيرات التراثية أكثر من ارتباطها بالرؤية الحديثة للدِّين، حيث

(١) يهتم الكثير من الباحثين الغربيين المعاصرين بسؤال: هل يتسم حقل التفسير باستمرارية كاملة أم يمثل العصر الحديث تغيرًا في طبيعة هذا الحقل؟ وإذا كان التفسير الحديث هو تفسير له طبيعته الخاصة، فمتى يمكن تحديد تلك اللحظة التي بدأ فيها هذا التفسير؟ وما هي الملامح الخاصة التي تجعل تفسيرًا ما تفسيرًا حديثًا وليس مجرد امتداد للتفسير التقليدي؟ للتوسع في هذا السياق، يمكن مراجعة دراسة يوهانا بينك، من أين تبدأ الحداثة، محمد بن عليّ الشوكاني وتراث التفسير، ترجمة: إسلام أحمد، ضمن ترجمات ملف (التفسير الإسلامي في الدراسات الغربية)، منشور على موقع تفسير.

ولمراجعة تحقيب عربي حديث للتفسير، يراجع: تحقيب التفسير؛ قراءة في التحقيب المعاصر مع طرح تحقيب معياري للتفسير، خليل محمود اليماني، بحث منشور على موقع تفسير. (قسم الترجمات).

(2) Wielandt, „Exegesis“, 126; Andrew Rippin, „Tafsīr“, in: Mircea Eliade (Hg.), Encyclopaedia of Religion, New York, London, 1987, Bd. 14, 236- 244, 242; Jansen, Interpretation, 18.

يتموضع هذا الدِّين من خلال علوم الاجتماع[١]. على النقيض من ذلك يصف آخرون سيد قطب باعتباره الممثّل الأبرز للتفسير الحديث للقرآن[٢]. وحتى لا يكون هناك تقييم مسبق، لا بد أولًا مِن فهمِ مصطلحي (الحديث) (والمعاصر) لتفسير القرآن، وذلك حصرًا من خلال الإطار الزمني المتعلّق باللفظين، كذلك لا بد من الرجوع إلى التفاسير التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر، ولا بد أيضًا من فهمِ مصطلحي (التراثي) (ما قبل الحديث) مع حصرهما في إطارهما الزمني، والرجوع إلى التفاسير التي ظهرت ما بين القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي والقرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

وتوجد بعض المحاولات للتفريق بين المناهج المختلفة للتفسير المعاصر، فالمفسّرون الحداثيون من وجهة نظر باليون (J. M. S. Baljon) يقتصرون على أولئك الذين تأثّروا بالأيدلوجية الغربية بأيّ شكل من الأشكال[٣]. وقد حدّد باليون من خلال الأعمال التي عالجها الاتجاهات المختلفة للتفسير، وكان من السِّمَات التي أثبتها: أن التفاسير الحداثية تحرّر النصّ القرآني من المفاهيم الأسطورية والتصوّرات البدائية، كما أن العبارات في

(1) Mohammed Arkoun, „Contemporary Critical Practices and the Qurʾān“, in: Jane Dammen McAuliffe (Hg.), Encyclopaedia of the Qurʾān, Bd. 1, 412- 431, 430. 9) Rippin, „Tafsīr“ in: ER, 242; ders. „Tafsīr“, in: Encyclopaedia of Islam, New edition, Bd. 10, 83- 88, 87; Wielandt, „Exegesis“, 137f.
(2) Rippin, „Tafsīr“ in: ER, 242; ders. „Tafsīr“, in: Encyclopaedia of Islam, New edition, Bd. 10, 83- 88, 87; Wielandt, „Exegesis“, 137f.
(3) Baljon, Modern Muslim Koran Interpretation, 2, 15.

هذا النوع من التفسير تُفهم بشكلٍ رمزي أو مجازي، كذلك يتم إعادة تأويل ما ورد في القرآن عن السحر، كما تُفسر الأساطير بشكلٍ مجازي. وإلى حدٍّ ما يتمّ صرف الألفاظ بعيدًا عن معانيها، كذلك يتمّ تجاهل المكونات الإعجازية في القصص القرآني بقدر المستطاع، أو أن يتمّ تناول هذه المكونات بشكلٍ عقلاني، كما يشتمل هذا التفسير على التأمّل الخاضع لمعايير علم النفس. كذلك يجنح هذا النوع من التفسير إلى عدم استخدام القصص اليهودية المشوبة بالأساطير (الإسرائيليات) في فهم النصّ القرآني، كما يرفض قسم من الحداثيين الروايات النبوية (الأحاديث) كأداة يمكن من خلالها إيجاد التفصيلات التاريخية للنصّ[١].

أمّا يوهانسن جانسن (Johannes Jansen) فيفرّق بين ثلاثة اتجاهات؛ فبعض المفسِّرين من وجهة نظره يحاولون أن يُظْهِروا أن المستنتجات العلمية لا تتعارض مع القرآن، بل ويقتبسون من القرآن بشكلٍ جزئي أو كامل ما يمكن أن يؤكّد ذلك. أمّا الاتجاه الثاني فيكمن في الأعمال ذات التوجهات الفيلولوجية، والتي تتضمّن مهمتها الرئيسة محاولة فهم؛ كيف توجّب على الصحابة فهم القرآن في عهد محمد. وأخيرًا يوجد التفسير العملي، والذي

(1) Baljon, Modern Muslim Koran Interpretation, 16- 36.

يراعِي قبل كلّ شيء حال المسلمين اليوم. وعلى حسَب رأي جانسن فإن معظم المفسِّرين المعاصرين يندرجون تحت هذه الاتجاهات الثلاثة[١].

أمّا جالفورد (Hugh S. Galford) فيرى أن هناك أربع سمات تتميز بها التفسيرات المعاصرة عن غيرها: فالمفسِّرون فيها -كما يرى جالفورد- يعاينون السور أو الفقرات القرآنية الكبيرة بشكلٍ مجمل بدلًا من المعالجات اللغوية والفيلولوجية لكلّ كلمة على حدة؛ كما ينصبّ تركيزهم على تفسير القرآن بالقرآن مع استبعاد المضامين غير القرآنية. كذلك يعملون على إبراز التفسيرات الملزمة من وجهة نظرهم، كلّ ذلك يأتي مع تأكيدهم على جعل القرآن مصدرًا قانونيًّا، بالإضافة إلى استنباط الاستحقاقات السياسية منه[٢].

أمّا فيلانت (Rotraud Wielandt) فترى أنه ليس من الضروري وجوب التفريق بين التفسيرات المعاصرة وبين التفسيرات ما قبل الحديثة؛ وذلك لأنّ طريقة التفسير موجودة كسابق عهدها دون انقطاع، لكنها تفرّق بين ستة

(1) Jansen, Interpretation, 7ff., 95ff.
(الكتاب مترجم للعربية بعنوان: تفسير القرآن في مصر الحديثة، يوهانس جانسن، ترجمة: حازم زكريا محيي الدين، مؤمنون بلا حدود، ط١، بيروت، ٢٠١٧، والمقطع المقتبس هنا يوجد في الترجمة العربية، ص٢٤، ٢٥. (قسم الترجمات).

(2) Hugh S. Galford, „Sayyid Qutb and the Qur'anic Story of Joseph: A Commentary for Today", in: Ronald L. Nettler und Suha Taji-Farouki (Hg.), Muslim-Jewish Encounters: Intellectual Traditions and Modern Politics, (Studies in Muslim-Jewish Relations, 4), Amsterdam 1998, 39- 64, 43.

اتجاهات مهمّة في التفسير المعاصر كالتالي: أولًا التفسير من منظور العقلانية المصوغة بالمنهج التنويري، أو ما يُسمى (بالتفسير العلمي)، ويحاول المفسِّرون فيه إثبات أنّ القرآن قد أعطى مسبقًا كلّ المعرفة الممكنة عن علوم الطبيعة الحديثة. أمّا الاتجاه الثاني فيكمن في تفسير القرآن باستخدام المناهج الأدبية، بينما يتمحور الاتجاه الثالث حول فهم القرآن مع مراعاة المنهج التاريخاني. أمّا الاتجاه الرابع فينطلق من فرضية أنه ما زال بالإمكان استمرارية فهم القرآن بشكلٍ مباشر في وقتنا الحالي. أمّا النوع الأخير فيُطلق عليه التفسير الموضوعي، حيث يتم تناول السور بشكلٍ عام من خلال مضامين بعض الفقرات بعينها دون الحاجة لتفسير آية على حدة[١].

وبشكلٍ جوهري تختلف الأعمال المصوغة بالمنهج التأويلي/ الهرمنيوطيقي للقرآن عن الأعمال التي تتناول علوم القرآن، وتنقسم الأخيرة هذه إلى تفسيرات للقرآن بالإضافة لعلوم القرآن الأخرى (كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ أو أعمال موضوعية ذات توجّه محدد). وبينما تعالج الأعمال المصوغة بالمنهج التأويلي/ الهرمنيوطيقي للقرآن أُسس فهم النصّ من الناحية النظرية وتقدّم على كل حال تفسيرات ملموسة مدعومة بالأمثلة، فإن علوم القرآن تجعل من النصّ القرآني هدفًا لها إلى حدّ كبير. أمّا التفاسير فعادة ما

(1) Wielandt, „Exegesis“, 123- 139.

تقدّم توضيحًا للقرآن آية بآية أو فقرة بفقرة. ولأنّ علوم القرآن في الأغلب تتمحور مهمتها في بسط أصول التفسير، حيث تكمن عملية التفسير وراء هذه الأصول، فالاختصار فيها ليس أمرًا سهلًا على الإطلاق. ولأنّ البحث المقدّم يتعلق بتفسير آيات بعينها بشكلٍ ملموس[١]، فإن التركيز في المقام الأول سيقع على اختيار الأعمال المتعلقة بعلوم القرآن، بينما لن تكون الأعمال المصوغة بالمنهج التأويلي/ الهرمنيوطيقي محل اهتمام طالما أنها لم تعالج الإشكاليات الجوهرية التي يمكن أن تكون من الأهمية بمكان في سياق هذا البحث المقدّم.

(١) يقصد البحث الذي يقوم به هو حول التفسيرات المتعلقة بآية انشقاق القمر. (قسم الترجمات).

مصادر البحث:

إذا كان من الصعوبة العمل على ذكر سمات التفسير الحديث، فإن هذه الصعوبة تزداد أكثر عند الحديث عن أهم أولئك الذين مثّلوا هذه التفسيرات، خاصة أنه لا توجد دراسات حتى اللحظة توضح أيّ الأعمال التفسيرية أكثر شيوعًا في العالم الإسلامي، وما تأثير هذه الأعمال على الآلية التفسيرية أو على الدراسات الدينية. كما أنّ كثيرًا من الأعمال في الدراسات الإسلامية والتي تُعتبر علامة بارزة في تطوّر علم التفسير بسبب منهجيتها أو نتائجها الجديدة ما زالت مثار جدل في العالم الإسلامي، فلا تُناقش هذه الأعمال في العلن سوى بشكلٍ ضئيل جدًّا، كما أنّ الدراسات الدينية تنظر لهذه الأعمال بشكلٍ سلبي ومن ثم لا يتم تناولها بأيّ شكلٍ من الأشكال[١].

لكن الاتفاق الوحيد القائم يتمثّل في تفسير «المنار» لمحمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥) ورشيد رضا (١٨٦٥- ١٩٣٥)، وتفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦)، وتفسير «تفهيم القرآن»[٢] لأبي الأعلى

(١) توجد بعض الأمثلة على ذلك لدى فيلانت:

„Wurzeln der Schwierigkeit innerislamischen Gesprächs über neue hermeneutische Zugänge zum Korantext“, in: Stefan Wild (Hg.), The Qurʾān as Text (Islamic Philosophy, theology and Science, 27), Leiden u. a. 1996, 257- 282, 257- 262. Siehe auch Saeed, Interpreting the Qurʾān, 13.

(٢) المؤلِّفون الذين غالبًا ما كتبوا أعمالهم بالفارسية أو الأردية سوف يتمّ نقل أسمائهم وعناوين مؤلَّفاتهم طبقًا لقواعد النطق المختلفة بشكلٍ مختلف عن الأسماء العربية أو عناوين المؤلّفات العربية. أمّا =

المودودي (١٩٠٣- ١٩٧٩)، حيث يمكن أن تعدّ هذه الأعمال بأنها من الأكثر تأثيرًا من بين التفاسير الحديثة[١].

ولأنّ هذا البحث يستهدف إلقاء نظرة موسّعة بقدر الإمكان على التفسيرات المختلفة التي تناولَت آية انشقاق القمر، فإنّ هذا البحث سيحاول أن يتضمّن أعمالًا من مختلف الأقطار الإسلامية، كما سيشمل أيضًا تفسيرات العلماء المتخصّصين في الدراسات الدينية، وبجانب ذلك سيؤُخَذ بعين الاعتبار المفسِّرون العوام الذين لا خلفية علمية لهم في العلوم الإسلامية، علاوة على ذلك لن يتم تجاهل التفاسير ذات الطابع الديني المذهبي بما تحمله من اختلافات متباينة فيما بينها.

كما لن يقتصر البحث المقدّم على الاعتماد على كتب التفاسير بمعناها المجرّد؛ لأن تفسير الآيات المعنيّة بالبحث لا يقتصر على هذه الأعمال فقط[٢]، بل يشمل أعمالًا أخرى قد لا تندرج تحت كتب التفسير بمعناها المعهود،

=

المؤلِّفون الذين غالبًا ما نشروا أعمالهم بإحدى اللغات الأوروبية، فسوف يتم كتابة أسمائهم طبقًا لما هو موجود على غلاف مؤلّفاتهم.

(١) يُشار إلى هؤلاء في كثير من الملخصات العلمية، كما أن كثيرًا من المؤلّفين المسلمين يصفهم بأنهم المفسِّرون الحداثيون الأكثر أهمية، انظر على سبيل المثال:

Ahmad von Denffer, ʿUlūm al-Qurʾān – An Introduction to the Sciences of the Qurʾān, online-Version unter: http://islamworld.net/docs/UUQ/6.txt (14. 10. 08).

(٢) قارن: Baljon, Modern Muslim Koran Interpretation, 15; Wielandt, „Exegesis“, 125f.

كترجمات القرآن المصوغة بالتعليقات أو الإسهامات العلمية المتمثّلة في المقالات الموضوعية، إذا ما أخذنا في الحسبان أن هذه الترجمات أو المقالات تقتصر على بحث آيات أو موضوعات بعينها[١].

وبينما اعتمدت الدراسات السابقة عن التفسير الحديث بشكلٍ جزئي على مؤلَّفات لا يمكن وصفها بالتفاسير بالمعنى الدقيق، فإنه -طبقًا لعلمي- لا يوجد أيضًا حتى اللحظة دراسات تضمنت التفسير المعاصر للقرآن الكريم من خلال الإنترنت. ويتّضح من الحالة التي أمامنا أنّ الإنترنت يمثّل مصدرًا ثمينًا وحقيقيًّا لوجهات النظر المختلفة حول الآيات القرآنية المستهدفة في هذا البحث. كما سيتفرّد هذا البحث المقدّم بالإجابة على التساؤل الآتي: إلى أيّ مدى تختلف التفسيرات والمنهجيات المقدّمة على الإنترنت عن تفسيرات العلماء المتخصّصين في الدراسات الدينية أو التفسيرات التي قدّمها العوام غير المتخصِّصين في التفسير؟

أمّا النماذج التي سيعتمد عليها البحث المقدّم، ففي إطار التفسيرات التي أُنْتِجت داخل الدائرة العربية السُّنّيّة، فسوف يتمّ الاعتماد على تفسير أحمد مصطفى المراغي (١٨٩٣- ١٩٦٤)، وتفسير محمد سيد طنطاوي (وُلِد:

(١) للتوسّع -من وجهة النظر الغربية- في نقاش مسألة حضور التفسير داخل كتب التفسير وخارجها، ومدى أهمية استحضار النتاج خارج كتب التفسير كجزء مهم من فهم طبيعة التلقي الأوسع للقرآن، راجع: التفسير خطابًا، يوهانا بينك، ترجمة: مصطفى هندي، موقع تفسير. (قسم الترجمات).

١٩٢٨)، وتفسير أبي بكر الجزائري (وُلِد: ١٩٢١). ويُعتبر أحمد مصطفى المراغي[١] من علماء الدين، لكن شهرته الأكبر تأتي من خلال تفسيره الضخم «تفسير المراغي»، والذي ظهر بدايةً من عام ١٩٤٦ حتى ١٩٥٣[٢]. أمّا محمد سيد طنطاوى فقد عمل لما يقرب من عشر سنوات مفتيًا عامًّا للديار المصرية، ثم شيخًا للأزهر منذ عام ١٩٩٣، ويُعتبر تفسيره «التفسير الوسيط» هو المنتَج الأهم من بين أعماله، والذي نُشر بين عامي ١٩٧٤ و١٩٨٦[٣]. بينما يأتي أبو بكر الجزائري بوصفه عالمَ دينٍ ذا خلفية سَلَفية، وقد ظهر تفسيره ذو التوجهات السلفية الصريحة «أسرار التفسير لكلام العلي الكبير» عام ١٩٨٧[٤]. أمّا تفسير

---

(١) هذا غير أخيه محمد مصطفى المراغي (١٨٨١- ١٩٤٥)، ويُعتبر أخوه هذا من أهم تلامذة محمد عبده.

(٢) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ثلاثون جزءًا في عشرة مجلدات، بيروت ١٩٨٥. وللمزيد عن المراغي وتفسيره:

http://www.islamonline.net/arabic/history/Brothers/article01.shtml, http://www.ahlulbaitonline.com/Public/bohoth/003/05.htm (beide 2. 12. 08); Jansen, Interpretation, 77ff. und Anm. 6.

(٣) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، من المجلد الأول حتى المجلد الخامس (من سورة الفاتحة حتى سورة الأعراف)، القاهرة، ١٤١٢= ١٩٩٢: المجلد السادس والعشرون والسابع والعشرون (من سورة الطور حتى سورة المجادلة)، القاهرة ١٤٠٦= ١٩٨٦.

(٤) وصف السلفي هذا تم استخدامه من قِبَل الجزائري لوصف نفسه، انظر:

أبو بكر جابر الجزائري، أسرار التفسير لكلام العلي الكبير، أربع مجلدات، جدة، ١٤٠٧= ١٩٨٧، المجلد الأول، ص٥- ٧. وكتفسير سلفي يتوفر هذا التفسير على موقع: http://www.altafsir.com، =

«المنار» لمحمد عبده ورشيد رضا، وتفسير «التفسير» لمحمود شلتوت فليس بالإمكان الاعتماد عليهما؛ لأنّ كِلا التفسيرَين ليسَا كاملين، ولعدم تضمنهما أيّ تفسيرات حول الآيات المعنية بالبحث في هذا العمل.

وأمّا بخصوص التفسير الشيعي الحديث للقرآن فيمكن اعتبار محمد حسين الطبطبائي (١٩٠٤- ١٩٨٠) الممثّل لهذا النوع من التفسير، حيث قدّم تفسيره «الميزان في تفسير القرآن» خلال العقد السادس من القرن العشرين[١]. ويُعتبر الطبطبائي أحد كبار مفسِّري وفلاسفة الشيعة في القرن العشرين، حيث لا يعتمد في تفسيره فقط على الطريقة التقليدية في التفسير، بل يراعي أيضًا التفسيرات الشيعية والسنيّة الحديثة للقرآن[٢].

=

(تم الاطلاع عليه بتاريخ: ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨). لم يتم تعريف المصطلح بشكلٍ واضح، كما يتم استخدامه بشكل متباين من مختلف الجماعات، لكن المستغرب في الأمر أن كلّ الجماعات تجعل من المصطلح مرجعًا للوصول للإسلام المثالي (للسلف الصالح)، والرفض العميق للتراث السنّي المتأخّر. لمصطلح السلفية والتفريق بينه وبين مصطلح الوهابية، انظر:

Werner Ende, „Salafiyya“, in: Encyclopaedia of Islam, New edition, Bd. 8, 900- 909, ders. „Wahhābiyya“, in: Encyclopaedia of Islam, New edition, Bd. 11, 39- 47, sowie Guido Steinberg und Jan-Peter Hartung, „Islamistische Gruppen und Bewegungen“, in: Werner Ende und Udo Steinbach (Hg.), Der Islam in der Gegenwart, 5. Auflage, München 2005, 681- 695.

(١) محمد حسين الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، عشرون مجلدًا، الطبعة الثالثة، طهران، ١٩٧٣- ١٩٧٧.

(2) Seyyed Hossein Nasr, „Ṭabāṭabāʾī, Muḥammad Husayn“, in: John L. Esposito, The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 4 Bände, Oxford 1995, Bd. 4, 161f.

أمّا نماذج تفسيرات العلماء السنّة من خارج دائرة الناطقين بالعربية فسوف يتم الاعتماد على تفسير «معارف القرآن» لمحمد شفيع (١٨٩٧- ١٩٧٦)، وتفسير «التفسير المعاصر للقرآن الكريم» (Yüce Kur'ân'ın Çağdaş Tefsîri) لسليمان أتيس (وُلد: ١٩٣٣). برز تفسير «معارف القرآن» لمفتي باكستان محمد شفيع (١٨٩٧- ١٩٧٦) من خلال البث الإذاعي الأسبوعي، حيث قدم تفسيراته للقرآن من خلال الراديو الباكستاني ما بين عامي ١٩٥٤ و١٩٦٤[١]. وقد كان هذا البث الإذاعي هو الأساس في أن يقدّم محمد شفيع تفسيره الكامل للقرآن باللغة الأردية تباعًا بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٩[٢]. تلا ذلك ظهور الترجمة الإنجليزية لهذا التفسير بين عامي ١٩٩٦ و٢٠٠٤، ويمكن ملاحظة أنّ هذا التفسيرَ بلغته الأصلية ملحقًا بترجمته متاحٌ للجميع على شبكة الإنترنت[٣].

أمّا بخصوص سليمان أتيس فيُعتبر واحدًا من علماء الدين الأتراك المشهورين في العصر الحديث[٤]، كما يُعتبر تفسيره الضخم «التفسير المعاصر

(1) Muḥammad Šafīʿ, Maʿārif ul-Qurʾān, Englisch von M. H. Askari und M. Shamim, 8 Bände, Karachi 1996-2004, Bd. 1, xvf.
(2) Šafīʿ, Maʿārif, 1, xvi.

(٣) متاح من خلال:

http://www.maarifulquran.net/bzw.
http://www.islamibayanaat.com/EMQ.htm (02. 10. 08).

(٤) للاطلاع على السيرة الذاتية لسليمان أتيس، انظر:

Abdullah Takim, Koranexegese im 20. Jahrhundert: Islamische Tradition und neue Ansätze in Süleyman Ateş's „Zeitgenössischem Korankommentar", Istanbul 2007, 42- 45.

للقرآن الكريم» هو الحلقة الأهم في دائرة المؤلَّفات التي أنتجها[١]، وبجانب المصادر التراثية يستخدم سليمان أتيس المعارف العلمية والتطابقات القرآنية مع الكتاب المقدّس لتفسير القرآن، ويظهر هذا من خلال جنوحه بعض الشيء لاستخدام الرسوم التوضيحية لشرح مراحل تطوّر الجنين البشري[٢]، وبلا شك أثار هذا التفسير الكثير من الجدل في تركيا، مما استلزم تعرّضه للنقد الحاد، لكنه مع ذلك يعتبر التفسير الأكثر شيوعًا هناك[٣].

أمّا النموذج الأبرز لتفسير عربي لم يكن صاحبه متخصصًا في الدراسات الدينية فتعتمد هذه الدراسة على تفسير «في ظلال القرآن الكريم» لسيد قطب[٤]. ويُعتبر سيد قطب أحد أهم رواد الأصولية الإسلامية. ولا شك أن تفسيره هذا الذي ألّفه في الفترة ما بين ١٩٥١ و١٩٦١ يُعَدّ من أكثر التفاسير المعاصرة مطالعة من قِبل القرّاء. ويحاول قطب من خلال هذا التفسير فهم القرآن بالنظر إلى وضع المسلمين في الوقت الحالي، كما يحاول استنطاق التعليمات من

(1) Süleyman Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 12 Bände, Istanbul 1988- 1991. 30).
للاطلاع على هيكل الكتاب والمنهجية الخاصة به والمنهج المتعلق بالكتاب، انظر:
Takim, Koranexegese, 86- 96.

(٢) للاطلاع على بنية الكتاب والمناهج والمنهجيات المستخدمة فيه، انظر:
Takim, Koranexegese, 86- 96.

(3) Takim, Koranexegese, 82f.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ستة أجزاء، الطبعة الخامسة والعشرون، القاهرة، ١٤١٧= ١٩٩٦.

القرآن. كذلك يتجنّب قطب التكهّن بفهم الأشياء التي سكت عنها القرآن، كما يرفض ما يُعْرَف «بالتفسير العلمي للقرآن»، والذي يحاول أن يبرهن على حجية الأقوال القرآنية من خلال العلوم الحديثة. وكثيرًا ما يُستشهد بتفسير سيد قطب في التفسيرات المعاصرة الأخرى، كما تُرجم هذا التفسير لعدّة لغات أخرى[١].

ومن نماذج التفسيرات العامية التي أنتجها غير المتخصّصين من خارج المنطقة العربية فسوف يتم الاعتماد في هذه الدراسة على تفسيرات كلّ من أبي الأعلى المودودي (١٩٠٣- ١٩٧٩)، ومحمد عليّ (١٨٤٧- ١٩٥١)، وميرزا بشير الدين محمود (١٨٨٩- ١٩٦٥)، وغلام أحمد برويز (١٩٠٣- ١٩٨٥)، وشبير أحمد (وُلد: ١٩٧٤).

بدايةً يُعتبر أبو الأعلى المودودي أحد أبرز ممثّلي الإسلام السياسي، كما تُعتبر ترجمته للقرآن إلى اللغة الأردية والمصوغة بالتعليقات الذاتية مِن قِبَله أهم أعماله، حيث أصدرها تحت مسمّى «تفهيم القرآن» في الفترة ما بين ١٩٤٢ و١٩٧٢. ويحاول المودودي في هذا العمل ترسيخ القدرة على فهم القرآن لدى المهتمّين من العوام الذين لا يحسنون العربية. كذلك يدرج المودودي في تفسيره المعارف العلمية من الفيزياء والطب والأنثربولوجيا، لكنه لا يدّعي

(١) للاطّلاع أكثر على تفسيره، انظر:

Olivier Carré, Mystique et politique. Lecture révolutionnaire du Coran par Sayyid Quṭb, Frère musulman radical, Paris 1984.

استنباط الأقوال العلمية من القرآن[١]. وقد ظهرتْ كثير من الترجمات لهذا التفسير كانت في أغلبها إلى اللغة الإنجليزية، لكن معظمها كان منقوصًا، أمّا الترجمة الأشهر من بين هذه الترجمات في وقتنا الحالي فتتكون من ثمانية مجلدات (من سورة الفاتحة حتى سورة السجدة)[٢]، مع ذلك يوجد على الإنترنت ترجمة كاملة لكلّ جوانب هذا التفسير دون نقص كما هو الحال مع الترجمات الأخرى[٣].

أمّا محمد عليّ وبشير الدين محمود فيمثّلان من خلال تفسيراتهم الاتجاهات المختلفة للحركة الأحمدية، حتى إنّ محمد عليّ كان الأمير الأول لحركة "Anǧumān Išāʿāt-i Islam" «أنجومان إشاعة إسلام»، وهي إحدى الحركات المنبثقة من الأحمدية. وتختلف ترجمة القرآن التي قدّمها محمد علي للّغة الأردية، وهي ترجمة مصوغة بالتعليقات صدرت بين عامي ١٩٢٢-١٩٢٤[٤]، عن الترجمة التي قدّمها باللغة الإنجليزية، والتي صدرت عام ١٩١٧[٥]، لكن الاختلاف ليس كبيرًا بين الترجمتين، فالنسخة الأردية من الترجمة يطبع عليها التوجه التراثي بشكل أكبر. أمّا النسخة الإنجليزية من

(1) Mir, „Some Features“, 235.
(2) Abū l-Aʿlā Maudūdī, Towards Understanding the Qurʾān: English Version of Tafḥīm al-Qurʾān, übersetzt von Ẓafar Isḥāq Anṣārī, Leicester 1988ff.
(3) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran (2. 12. 08).
(4) Muḥammad ʿAlī, Bayān ul-Qurʾān, Lahore 1922- 1924.
(5) Muḥammad ʿAlī, The Holy Qur-ān containing the Arabic text with English translation and Commentary, Surray 1917.

الترجمة فمنتشرة إلى حدّ كبير في الولايات المتحدة الأمريكية، والسبب في ذلك أنّ منظمة «أمّة الإسلام» "die Nation of Islam" تعتمدها بشكل رسمي[١].

في المقابل فإنّ بشير الدين محمود هو أحد أبناء مؤسّس الطائفة الأحمدية المعروف بميرزا غلام أحمد، كما أنه الخليفة الثاني للأحمدية بعد أبيه. ألّف بشير الدين محمود كثيرًا من التفسيرات للقرآن، بالرغم أن لغته العربية لم تكن لترقَى للمستوى المطلوب لإنجاز مثل هذه التفسيرات[٢]. وقد ظهر تفسيره المعروف بـ«التفسير الصغير» عام ١٩٥٧، حيث سيتمّ الاعتماد على هذا التفسير في هذه الدراسة المقدّمة[٣].

أمّا غلام أحمد برويز فهو المؤسّس لحركة (طلوع الإسلام)، وهي حركة مناهضة لأهل الحديث، حيث روّج غلام أحمد برويز من خلال تلك الحركة إلى رفضِ الأحاديث النبوية بشكلٍ عام كمصدر ديني، ودعا إلى الاقتصار على القرآن بصفته الحُجّة الملزمة دون السُّنّة. وفيما يتعلّق بتفسير القرآن فإن غلام أحمد برويز لا يكتفي برفض الأحاديث فقط، بل يتعدّى ذلك ليرفض التراث

(1) Khaleel Mohammad, „Assessing English Translations of the Qur'an“, in: Middle East Quarterly 12 (2005), 59- 72 (http://www.meforum.org/article/717 (12. 12. 08)).
(2) Martin Riexinger, Sanāʾullāh Amritsarī (1868- 1948) und die Ahl-i-Ḥadīs im Punjab unter britischer Herrschaft, (Mitteilungen zur Sozial- und Kulturgeschichte der islamischen Welt, 13), Würzburg 2004, 314.

(٣) سيستمد البحث اقتباساته المتعلقة بهذا التفسير من خلال بشير أحمد صديقي:

Modern Trends in Tafsir Literature – Miracles, Doktorarbeit, University of the Punjab, Lahore 1974. (http://eprints.hec.gov.pk/1664/1/1604. Htm (23. 05. 08)).

المتعلّق بعلوم القرآن بالكلية. اتسم غلام أحمد برويز بكثرة المؤلَّفات التي كتبها في حقل علوم القرآن، حيث يبدو من خلال هذه المؤلّفات أنه غالبًا ما يعتمد على آرائه الشخصية في فهم المواضع المشكلة في القرآن، وقد أتاح له هذا التوجه مزيدًا من الحرية في استخدام المجاز البلاغي في فهم القصص القرآني المتضمن للمعجزات[١]. وبخصوص كتابه (مفهوم القرآن) الذي ستعتمد عليه هذه الدراسة فقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٦١م[٢].

أمّا شبير أحمد فهو طبيب وكاتب باكستاني، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية ودوّن ونشر بالأردية والإنجليزية، كما أنه أحد أولئك الذين اشتُهروا بمناهضة الأحمدية[٣]. ظهر كتابه الذي يحمل عنوان «القرآن يفسّر بعضه بعضًا» (*the Qurʾan As It Explains Itself*) في الفترة ما بين ٢٠٠١ و٢٠٠٣، ويحمل نفس الكتاب عنوانًا آخر مختصرًا *QXP* وضعه شبير أحمد بنفسه. ويحاول شبير أحمد في هذا الكتاب استبعاد الروايات النبوية في فهم القرآن والاقتصار فقط على القرآن في تفسير بعضه بعضًا مع مراعاة ما ورد في لهجة قريش من إيضاح لمعاني الكلمات[٤].

---

(1) Sheila McDonnough, „The Social Import of Parwez's Religious Thought", in: Contributions to Asian Studies 2 (1971), 79- 92, hier besonders 83, 87f.

(٢) سيعتمد الاقتباس في هذا التفسير من خلال بشير أحمد صديقي: Modern Trends

(٣) انظر على سبيل المثال كتابه:

Hashish from Qadian, http://www.ourbeacon.com/?page_id=11605 (12. 12. 08).

(4) Shabbir Ahmed, The Qurʾan As It Explains Itself, 4. Auflage, 2007, 2 (http://ourbeacon. com/wp content/uploads/admin2/2007/08/qxp-iv.pdf (12. 12. 08)).

ويُلاحظ أن بعض التفسيرات المعاصرة للقرآن ظهرتْ من خلال المحاضرات واللقاءات العلمية والبث الإذاعي، قبل أن تبدأ تدريجيًّا في الظهور بشكلٍ مطبوع. ومن التفسيرات المشهورة التي سبق ذِكْرُها في هذه الدراسة تفسير (معارف القرآن) لمحمد شفيع، كذلك ينطبق هذا الكلام على تفسير محمد الشعراوي، والذي لم يُطبع منه حتى اللحظة سوى أجزاء منه فقط، والتفسير (غير الكامل) لمحمد مصطفى المراغي[١].

أمّا بخصوص الإنترنت فيتوافر من خلاله العديد من مثل هذه المحاضرات العلمية للعلماء أو التسجيلات الصوتية لبعض الأئمة[٢]. وستتضمّن هذه الدراسة أمثلة لهذا النمط من التفسير كمحاضرات كلّ من محمد سالم الكياني (وُلد: ١٩٢٤)، وصالح الصالح (ت: ٢٠٠٨)، حيث يوفر الإنترنت كثيرًا من المحاضرات لكِلَا الرّجُلَيْن حول تفسيرات كثير من السور القرآنية[٣]. ويعتمد محمد سالم الكياني بشكلٍ رئيس في محاضراته تلك على

(1) Jansen, Interpretation, 78.

[وقد طُبع بعد ذلك تفسير الشعراوي كاملًا. (قسم الترجمات)].

(٢) على سبيل المثال:

http://www.sacredlearning.org/classrooms/tafsir/index.htm,
http://www.salaam.co.uk/download/index2.php?cat_name=Tafsir,
http://www.way-to-allah.com/audio/koran/tafsir.html,
http://abdurrahman.org/audio/SalehAsSaleh/oder
http://www.islamicity. com/ramadan/Tafseer_of_the_Quran.shtml (alle 25. 09. 08).

(3) http://www.salaam.co.uk/download/index2.php?cat_name=Tafsir (24. 10. 08), http://abdur rahman.org/audio/SalehAsSaleh/ (21. 10. 08).

كتاب (تدبر القرآن) لأمين أحسن إصلاحي (١٩٠٤- ١٩٩٧)[١]. أمّا عن التوقيت الزمني لإلقاء هذه المحاضرات المعنية بالبحث في هذه الدراسة فلن يتمّ تتبّع وتحديد هذا المعيار الزمني هنا. أمّا بخصوص صالح الصالح والذي وافته المنيّة منذ عهد قريب وأحد تلامذة العالم السعودي محمد ابن عثيمين، فقد كان متخصصًا في الكيمياء الحيوية، لكنه رغم ذلك ألّف الكثير من الكتب، وألقى المحاضرات في مختلف المواضيع الإسلامية من منظور سلفي[٢]. كذلك لن يتمّ التحقّق بشكلٍ دقيق عن تاريخ إلقاء تلك المحاضرات التي سيتمّ بحثها في هذه الدراسة، لكن يبدو أنّ ظهورها مرتبط بالأعوام الأخيرة.

واستكمالًا للنماذج المطروحة في هذه الدراسة فسوف يتم تناول «ترجمة معاني القرآن الكريم» (*The Meaning of the Glorious Qurʾān*)[٣]، لعبد الله يوسف علي (١٨٧٢- ١٩٥٣)، وترجمة القرآن «رسالة القرآن» (*The Message of the Qurʾān*)[٤] لمحمد أسد، وهي ترجمات للقرآن باللغة الإنجليزية ذات طابع تفسيري. ومن الجدير بالذِّكْر في هذا السياق أنّ كِلَا

(1) http://www.salaam.co.uk/download/s-kayani.php (24. 10. 08). Zu Iṣlāḥī siehe Shehzad Saleem, „A Brief Biographical Sketch of Islahi“, in: Renaissance – Monthly Islamic Journal, Vol. 8, Nr. 1- 2, Januar-Februar 1998, (http://www.monthly-renaissance.com/issue/content. aspx?id=722 (24. 10. 08)).

(2) http://abdurrahman.org/audio/SalehAsSaleh/ (21. 10. 08). Zum Begriff salafitisch siehe oben Anm. 22.

(3) Abdullah Yusuf Ali, The Holy Qurʾān. Text, Translation and Commentary, 3 Bände, Lahore o.J.

(4) Muhammad Asad, The Message of the Qurʾān. Translated and Explained by Muhammad Asad, Gibraltar 1980.

المترجمين ليسَا من رجال الدِّين، فعبد الله يوسف علي ذو خلفيّة إسماعيلية، وهذا يمكن تخمينه من خلال بعض التعليقات المرفقة بترجمته التي ظهرت للمرة الأولى عام ١٩٣٤، وتندرج تحت الترجمات الإنجليزية ذائعة الصيت، وقد تم إدخال بعض التعديلات على هذه الترجمة في الطبعات التي تلَت الطبعة الأولى[١]. أمّا بالنسبة لمحمد أسد فقد وُلد في ليوبود وايس " Leopold Weiss" وهو يهودي الأصل، بدأ حياته كصحفي ومؤلّف للأفلام، ثم اعتنق الإسلام في أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وقد قضى معظم وقته في البلدان العربية وشبه القارة الهندية[٢]. اعتبر محمد أسد أنه من الضروري لفهم القرآن أخذ اللهجات البدوية في وسط وشرق الجزيرة العربية في عين الاعتبار، حيث تعتبر هذه اللهجات من وجهة نظر محمد أسد هي الأقرب للغة العربية المنطوقة في زمان النبي[٣]. أمّا بخصوص ترجمته التفسيرية «رسالة القرآن» (*The Message of the Qurʾān*) التي ظهرت عام ١٩٨٠ فلم تكن مثار جدل، ولا شك أنها من الترجمات المشهورة[٤].

(١) بعض الأمثلة توجد على موقع:
http://www.al-islam.org/tahrif/yusufali/index.htm (14. 11. 08).
(2) Jane Dammen McAuliffe, „Introduction“, in: Jane Dammen McAuliffe (Hg.), The Cambridge Companion to the Qurʾān, Cambridge 2006, 10ff.
(3) Asad, The Message of the Qurʾān, ivf.
(4) Dammen McAuliffe, „Introduction“, 12.

أمّا بخصوص المؤلَّفات التي صدرت من دائرة الناطقين بالألمانية فسوف يمتد هذا البحث ليشمل كتاب (تفسير القرآن الكريم) والصادر عام ٢٠٠٣ لأبي رضا محمد بن أحمد بن رسول[١]. ويُعتبر محمد رسول من المسلمين الذين نشروا الإسلام في ألمانيا، فقد أصدر العديد من المؤلّفات التي تناولت مختلف الموضوعات في الإسلام، كما ألّف سلسلة من الكتب الخاصة بالأطفال.

ويتضح بكلّ بساطة من خلال البحث على شبكة الإنترنت في قضية انشقاق القمر أن هناك أفكارًا لبعض الكُتّاب الآخرين غير الذين تم ذكرهم يمكن أن تكون محلًّا للنقاش والذِّكْر في هذا البحث؛ لذا يبدو أن مثل هذه الأفكار من الأهمية بمكان إذا ما تعلّق الأمر بالتفسير المعاصر للقرآن. ولهذا السبب لن يقتصر البحث على ما تم ذكره من المفسِّرين والكُتّاب، بل سيشمل أفكارًا لمؤلِّفين آخرين، أمثال هارون يحيى (وُلد: ١٩٦٥)، وهو أحد الأتراك المؤمنين بنظرية الخلق، ورشاد خليفة (١٩٣٥- ١٩٩٠) «مكتشف» الرمز العددي، وهي المعجزة العددية للقرآن التي بنيت على الرقم ١٩، كما سيتناول البحث أفكار محمد علي حسن الهلالي (ت: ١٩٩١)، صاحب كتاب «القانون والقرآن»، وهو كتاب يندرج إلى حدّ بعيد تحت ما يُسمى (بالتفسير العلمي) للقرآن. ويتواجد هذا الكتاب على الإنترنت باللغة العربية كما تتوافر ترجمته

(1) Muḥammad Ibn Aḥmad Ibn Rassoul, Tafsīr al-Qurʾān al-Karīm. Erläuterung des al-Qurʾān al-karīm in deutscher Sprache, Köln 2003.

إلى اللغة الإنجليزية كذلك[١]. على أية حال لم يكن بمقدوري تحديد الزمن الذي نُشر فيه هذا الكتاب لأول مرة، لكن الطبعة الثالثة منه صدرت عام ١٩٧٨. بدأ محمد علي حسن الهلالي حياته كمُصَوِّر فوتغرافي في العراق، وعلى حسَب قوله فقد كتب الهلالي هذا الكتاب لأنّ أطفال المدارس كانوا يبتدرونه بالأسئلة المتعلّقة بالتناقضات بين ما تعلّموه في مدارسهم وبين القرآن[٢]. وقد أبدى المترجم الذي نقل كتاب الهلالي إلى الإنجليزية ملاحظته من أن الهلالي ليس متخصصًا في العلوم الدينية كما أنه لم يتلقَّ التأهيل العلمي المناسب[٣].

أمّا بخصوص رشاد خليفة فهو أمريكي من أصل مصري، لكن شهرته الواسعة أتت من خلال نظريته التي تقوم على أن القرآن قد تم تشفيره من خلال الرقم ١٩، وبناء على هذا توصل لنتيجة التقييم الإحصائي لآيات القرآن. ومن حيث المبدأ تطابقت مواقفه بالكاد أو لم تتوافق بالكلية مع المفهوم التقليدي للإسلام بعد إعلانه الاكتفاء بالقرآن وحده كمصدر للتشريع ونبذ الروايات النبوية (الحديث) كإحدى الركائز التشريعية لدين الإسلام، بعد ذلك أعلن نفسه

---

(١) النسخة العربية متاحة على موقع: http://tgq.t35.com/.

أمّا النسخ الإنجليزية فمتاحة على:

http://universeandquran.741.com (beide 27. 10. 08).

(2) http://tgq.t35.com/#تمهيد (27. 10. 08).

(3) http://universeandquran.741.com/new_page_2.htm (27. 10. 08).

أنه رسول الله الذي بلّغ عنه في القرآن[١]. رغم ذلك وَجَدَت بعض أفكاره طريقها للانتشار، خاصّة تلك المعاني المتعلقة برقم ١٩[٢]. ظهرت ترجمته للقرآن لأول مرة عام ١٩٨١، وهي بعنوان: «القرآن: الكتاب الأخير» (*Quran – the final scripture*)، وفيها حاول شرح الآية الأولى من سورة القمر[٣]. كما أن بعض أفكاره الأخرى موجودة بشكل مفصل على موقع *www.submission.org*، وكذلك يوجد على هذا الموقع بعض الأفكار التي تبنّاها تلامذته وما زالت قيد التطوّر من قِبَلهم ولو بشكل نسبي.

ويمكن ملاحظة تنوّع المحاجات التي قدّمها رشاد خليفة من خلال تواجدها على الصفحات المختلفة للكاتب التركي الشهير والمؤمن بنظرية الخلق عدنان أوكتار والمعروف بهارون يحيى[٤]؛ لذا يتعاطى هارون يحيى باستفاضة مع الإعجاز الرياضي للقرآن الكريم على موقعه *www.miraclesofthequran.com*[٥]. الجدير بالذِّكْر أن هذا الموقع في أحد

(1) http://www.rashadkhalifa.org/covenant.html (12. 10. 08).

(٢) انظر أيضًا:

Andrew Rippin, „Numbers and Numeration“, in: Encyclopaedia of the Qurʾān, Bd. 3, 549- 554, 552.

(3) Rashad Khalifa, Quran – the final scripture, Tucson 1981. Spätere Auflagen erschienen unter dem Titel Quran – the final testament.

(٤) حول هارون يحيى، انظر:

Martin Riexinger, „The Islamic Creationism of Harun Yahya“, in: ISIM Newsletter 11 (2002), 5.

(5) http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_03.html (12. 10. 08).

جوانبه يُولي اهتمامًا بمعجزة الرقم ١٩، ومع ذلك لا توجد إشارة على الموقع حول رشاد خليفة باعتباره صاحب النظرية المتعلّقة بالرقم ١٩.

الحقيقة أن انشقاق القمر هو أحد المواضيع التي نُوقشت بكثرة على صفحات الإنترنت، وإجمالًا يمكن القول: إن عدد تلك الصفحات قد يصل إلى مئات الآلاف، وهذا واضح من خلال البحث على الإنترنت بأكثر من لغة من خلال المصطلحات ذات الصِّلَة بالموضوع؛ لذا لا يمكن تقييم صفحات الإنترنت هذه سوى من خلال النماذج التفسيرية التي تحويها. ومَن دقّق النظر يمكن أن يرى بوضوح أنّ كثيرًا من محتوى هذه الصفحات متشابه من حيث المحتوى، بل يتعدّى الأمر ذلك ليشمل أيضًا التطابق النصِّي بين هذه الصفحات إلى حدّ ما، لا سيما أن بعض المواقف نفسها يمكن تسجيلها بدون اختلاف فيما بينها. وفيما يأتي سيُعرض بكثرة مجموعة من الآراء ونقاط الانطلاق، التي لا توجد بالمؤلفات المتعلقة بعلوم القرآن، مع ذلك لا يمكن لهذا العمل ولا يريد أن يُدّعى أنه سيقدم تصورًا كاملًا عن الآراء والمحاجات الموجودة على صفحات الإنترنت حول انشقاق القمر.

كما أن كثيرًا من النصوص على شبكة الإنترنت مدونة دون ذِكْر أيّ مصدر لها، لدرجة أنه من الصعب في حالات كثيرة تتبّع المصدر الأصلي الذي جاء منه النصّ، وهذا يعقّد تصنيف النصوص من ناحية التساؤل حول ماهية المؤلِّف الذي كتب هذا النصّ، هل هو من رجال الدِّين المتخصّصين أم لا، أمّا التساؤل

الثاني فيكمن في ماهية المجموعات المستهدفة من الخطاب بالأساس[١]. لكن على أية حال سيقوم هذا البحث بإضافة النصّ المقتبس لصاحبه طالما أن هذا مثبت عن طريق الكاتب الذي دوّن هذا النصّ، خلافًا لذلك سيتم اعتبار المقالات التي لم يرِد فيها اسم المؤلِّف على أنها مقالات مجهولة الهوية.

وتلخيصًا لما سبق، فإنّ هذا البحث سيتناول عشرين عملًا بما في ذلك المقالات المتاحة على الإنترنت، ويتضمّن البحث بعض المؤلّفات لأصحاب التخصّص الديني وغيرهم من غير المتخصِّصين. ليس هذا فحَسْب بل إن هؤلاء المؤلِّفين جاؤوا من سياقات إقليمية متنوّعة (من المنطقة العربية وإيران والهند وباكستان وتركيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) وتيارات دينية

(١) يوجد على سبيل المثال على كثير من صفحات الإنترنت استدلال طويل على تاريخية انشقاق القمر، هذا الاستدلال مكوّن من خمس نقاط ولم يرِد فيه أيّ معلومات عن المؤلف الذي دوّنه، على سبيل المثال:

http://www.thewaytotruth.org/prophetmuhammad/splittingofthemoon.html,
http://islambyquestions.net/miracles/moon.htm,
http://www.mohammad-pbuh. com/3/moonsplit.htm,
http://www.dislam.org/content/view/177/ (alle 14. 10. 08).

وبشكل فعلي فإن أصل هذا النصّ جاء من خلال ملحق على الإنترنت يمكن الوصول إليه من خلال الضغط على «الكلمة رقم ٣١»، وهي كلمة «رسائل النور» (Risala-i Nur)، حيث يمكن الوصول إلى ملخص كتاب بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٦ – ١٩٦٠).

Said Nursi, Risale-i Nur Külliyatından, 14 Bände, Istanbul 2006- 2007, Bd. 4, 798- 803.

لمعلومات حول بديع الزمان النورسي وكتابه، انظر:

Hamid Algar, „Said Nursi and the Risala-i Nur: An Aspect of Islam in Contemporary Turkey“, in: Khurshid Ahmad und Zafar Ishaq Ansari (Hg.), Islamic Perspectives. Studies in Honour of Mawlānā Sayyid Abul Aʿlā Mawdūdī, Leicester, Jidda 1979, 313-333.

مختلفة «بجانب الأعمال السنيّة (من ضمنها عمَلان سلفيّان) والشيعية، فسيُعنى البحث أيضًا بتناول أعمال صدرت عن جماعات مهمّشة كالأحمدية، وجمعية (المسلمون المتحدون الدولية)». وقد صدرت هذه الأعمال التي سيتناولها البحث تقريبًا على مدار المائة عام الماضية، ما بين بداية القرن العشرين حتى اليوم. طبقًا لذلك فإنّ إجراء مقارنة بين هذه المؤلَّفات لا يمكن أن يتمّ دون صعوبة، لكن في كلّ الأحوال ما زال الناس يتلقون هذه الأعمال حتى اليوم وما زالت التفسيرات والمحاجات التي تحويها تلعب دورًا في الجدالات حول قصة انشقاق القمر. من هذه الناحية يمكن تبرير لماذا تم توسيع الفترة الزمنية المتعلّقة بالتفسير الحديث للقرآن حول آية انشقاق القمر.

ورغم المحاولات التي بُذلت لإعطاء نظرة موسّعة قدر الإمكان من خلال استحضار مزيد من التفسيرات المختلفة حول الآية الأولى من سورة القمر، إلا أن البحث صار مقيدًا بسبب العوائق اللغوية، فغالبية المؤلَّفات وصفحات الإنترنت المعنية بالبحث في هذا العمل وردت باللغة العربية والإنجليزية، بجانب هذا لم يهمل البحث بعض المؤلَّفات وصفحات الإنترنت التي جاءت باللغة الأردية[١] والتركية[٢] والفارسية والفرنسية. وقد تم هنا الاعتماد على

(١) أتقدم بالشكر للسيد زيشان غفار للمساعدة في ترجمة النصوص من اللغة الأردية.

(٢) أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور لوتز برجر (Lutz Berge) للمساعدة في ترجمة النصوص من اللغة التركية.

الترجمة الإنجليزية لأعمال في الأصل كُتبت بالأردية، وهي أعمال محمد شفيع وأبي الأعلى المودودي. كذلك إذا أظهرت الترجمات خطأ ما هنا أو هناك[١]، فإننا نقبل بالاستدلالات الواردة فيها طالما أنها صحيحة بشكلٍ عام، وبالتالي فهي كافية من أجل تأدية الغرض.

(١) انظر على سبيل المثال: Adams, „Mawdūdī's Tafhīm", 308.
في هذا الكتاب نبّه الكاتب إلى أنه لاحَظَ من خلال ترجمة أخرى لكتاب المودودي أنها تتسم بالتبسيطات وبتنظيم جديد للأدوات، حتى لو كان المحتوى في جوهره منقولًا بشكل سليم.

حول قضية انشقاق القمر والآية الأولى من سورة القمر في التفاسير ما قبل الحديثة:

كما ذكرتُ سابقًا، تعتمد قصة انشقاق القمر في التراث الإسلامي على مصدرين؛ الأول: الروايات النبوية المتعلقة بانشقاق القمر، ثانيًا: من خلال الآية الأولى من سورة القمر، حيث تسمح الصيغة القرآنية للآية بتعدّد التفسيرات المتعلقة بها[1]. يبدأ النصّ القرآني بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، ولو وضَعْنا سياق الآية جانبًا وركّزنا على ترجمتها فإنها ستكون كالآتي: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ السّاعةُ (يوم القيامة) وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾. ومع افتراض أن الجزء الثاني من الآية يدل على حدث حقيقي قد وقع بالفعل، مما يمكن اعتباره تفسيرًا تاريخيًّا للآية، وبموجب هذا فإنّ انشقاق القمر أمرٌ وقع في الماضي بالفعل. على الجانب الآخر فإن سياق السورة بأكملها يوعز بالتفسير الإسكاتولوجي/ الغيبي، حيث يمكن من خلال هذا التفسير فهم الآية الأُولى كما يأتي: «دَنَت الساعةُ التي تقوم فيها القيامة أو (افتعلت من القرب)، حينئذ سيكون القمر قد انشق بالفعل»، وختامًا يمكن أن تُفهم عبارة: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ بشكل رمزي، وذلك كإشارة على شدة تجلّيه ووضوحه. وبناء على هذا التفسير المجازي ستكون ترجمة

(١) للوقوف على التفسيرات المتعددة التي تسمح بها الآية، انظر: Schöller, Spaltung, 33- 60.

الآية للألمانية كالآتي: «اقتربت ساعة (الحساب) (وتحقق وقوعها) كظهور القمر المضيء (في الليلة المظلمة)»[١].

وعلى حسَب التفسير يمكن أن تُفهم الآية الثانية من السورة بأكثر من شكل، حيث تقول الآية: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]. فالاختلاف في تفسير الآية راجع في المقام الأول إلى سببين، السبب الأول يكمن في المعنى المقصود من كلمة ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾، أمّا السبب الثاني فيكمن في التساؤل الآتي: ما المقصود بكلمة ﴿ءَايَةً﴾ (معجزة)، وهل هي دالة على معجزة انشقاق القمر الواردة في الآية الأُولى، أو أن المقصود بها آية أو معجزة أخرى. فكلمة ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ طبقًا للمعطيات السابقة تعني: (مطرد دائم) أو (متواصل)، كما يمكن أن يُفهم أيضًا أنها تأتي بمعنى: (قويّ) أو (شديد) أو (مارٌّ ذاهبٌ زائلٌ عن قريب) أو (مشتد المرارة، أي مستبشع منفور عنه لشدة مرارته)[٢]. وبينما جرت العادة طبقًا للتفسير التاريخي على ربط كلمة ﴿ءَايَةً﴾ الواقعة في الآية الثانية بظاهرة انشقاق القمر التي وردت في الآية التي تسبقها، إلا أنه طبقًا للتفسير المجازي والإسكاتولوجي لا علاقة للآية الثانية بالآية الأُولى[٣].

---

(١) هذه الصياغة مأخوذة من: Schöller, Spaltung, 37.

(٢) انظر: Schöller, *Spaltung*, 37ff.

(3) Schöller, Spaltung, 45- 52.

من جهة أخرى فإن التفسير التاريخي لكلمة ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ يستبعد مجيئها بمعنى: (دائم) أو (متواصل)، بالرغم من أن هذا هو المعنى المعهود للكلمة؛ وذلك لأن انشقاق القمر لم يستمر على الدوام دون انقطاع، على النقيض من ذلك لا يمكن أن يشكّل نفس المعنى أيّة مشكلة لو تم تفسيرها بشكل إسكاتولوجي أو مجازي(١).

في الحقيقة توجد هذه التفسيرات الثلاثة في التفاسير التراثية، وقد تم تناولها هناك بشكل مستفيض(٢)، لكن الغلبة في هذه التفسيرات التراثية تأتي لصالح التفسير التاريخي المعتمد على الروايات المنقولة عن الصحابة وجامعي الروايات المتأخِّرين مِن بعدهم(٣). وبينما لا يتوجب علينا في هذا المقام الاهتمام بالرواة الأصليين الذين نقلوا هذه الروايات، إلا أنّ تعدد الروايات يُعتبر أمرًا ذا أهمية، لا سيما أنّ التفسير المعاصر يمكن أن يعتمد عليها أيضًا.

فأكثر الروايات اختصارًا تقتصر في ذكرها إلى أن القمر قد انشقّ إلى نصفين أو أن عملية الانشقاق تكرّرت مرتين(٤). لكن معظم الروايات تشير إلى

---

(١) قارن: Schöller, Spaltung, 40f.

(2) Schöller, Spaltung, 36.

(٣) تم معالجة هذا بالتفصيل لدى: Schöller, Spaltung, 70- 102.

(٤) من المحتمل أن يكون ذكر انشقاق القمر مرتين ورَدَ بسبب خطأ في الرواية: Schöller, Spaltung, 88f.

أنّ لزوم انشقاق القمر إلى نصفين في عهد النبي محمد، بينما تشير قلّة منها بوضوح إلى أن هذا قد حدث قبل الهجرة. ويبدو التحديد التاريخي للأمر قبل الهجرة هو الأقرب للصواب، خاصة أنّ كثيرًا من الروايات تشير إلى أن النبيّ قد أقام وقتًا لا بأس به في مكة قبل أن يَحدُث انشقاق القمر. وبخلاف مكّة يظهر اسم (منى) فقط في بعض الروايات للدلالة على المكان الذي حدث فيه انشقاق القمر، وهو مكان ملاصق لمكة.

وإلى حدّ ما تشير المعطيات حول زمان ومكان الأحداث إلى تجانس فيما بينها، وذلك على خلاف الوصف الكامن في جريان الأحداث نفسها. فبعض الروايات تتحدّث عن انشقاق القمر بشكل عمودي، بحيث تباعد كِلا النصفين بعضهما عن بعض، بينما تتحدّث الروايات الأخرى عن انشقاق القمر إلى فلقتين بشكل أفقي، فلقة مِن دونِ الجبل أو فلقة مِن خلفه. لكن الروايات حول انشقاق القمر بشكل عمودي تُظهِر اختلافًا حول الأماكن التي ظهر بها القمر بهذا الشكل؛ فتارة عاين الصحابة انشقاق القمر حتى رأوا جبل حراء بينهما، وتارة رأى الصحابة نِصفًا على جبل أبي قبيس ونِصفًا على جبل قُعَيْقِعان، وتارة على الصفا والمروة، وتارة ظهر نصف القمر على جبل قبيس ونصفه الآخر على جبل السويداء وتارة أخرى انشق القمر إلى نصفين؛ نصف على الحديبية ونصف على السويداء. فبعض هذه الأماكن تقع بجوار بعضها بعضًا، لدرجة أنّ شقتي القمر لن يظهرَا بشكل يدل على تباعدهما بعضهما عن بعض إلى حد

كبير، أمّا بعض الأماكن الأخرى فتقع على جانبي مكة لدرجة أن إحدى فلقتي القمر لا بد أن تظهر في الشرق، بينما لا بد للأخرى أن تظهر في الغرب. وكما هو موجود في الروايات بكثرة أنّ أهل مكة سألوا محمدًا أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، وقد تحدّثَت الروايات بكثرة أن أهل مكة وصفوا الأحداث بالسِّحْر، وهذا ما يتطابق مع الآية الثانية المذكورة سابقًا بشكل واضح[١].

ويميل أغلب المفسِّرين في التفسير ما قبل الحديث إلى التفسير التاريخي للآية، لكنهم بالرغم من ذلك عادة ما يذكرون التفاسير المجازي والإسكاتولوجي المتعلّق بالآية، وهذا لم يمنع تفرد بعضهم إلى الميل بالنظر للآية على أساس التفسير الإسكاتولوجي والميل إلى أحد التفاسير المجازية المحتملة للآية على الأقل[٢]. وعلى مدار مئات السنين نشأ إجماع على بعض النقاط الواردة في التفسير التاريخي، على الرغم من عدم ورودها في الروايات النبوية؛ لهذا تم فرض الرأي القائل -بطريقة محتملة بناء على ترتيب الروايات في صحيح البخاري- بأنّ تاريخ تحديد الأحداث كان في السنة الخامسة قبل الهجرة[٣].

(١) انظر: Schöller, Spaltung, 95.

(٢) يدور الحديث هنا حول الماوردي: Schöller, Spaltung, 204.

(٣) انظر: Schöller, Spaltung, 254f. und Anm. 248.

انشقاق القمر والآية الأولى من سورة القمر في التفاسير المعاصرة:

من البديهي أن يكون هذا الرصيد من التفسيرات والروايات النبوية متاحًا للمفسرين المعاصرين، لكن إلى أيّ مدى تختلف التفسيرات المعاصرة للآية الأولى بشكل جوهري عن التفسير ما قبل المعاصر لها؟ وهل ذهب التفسير المعاصر لنفس التفسيرات التي وردت في التفسير ما قبل المعاصر؟ وما هي المحاجات التي استُخدمت للاستدلال وبناء المواقف في التفسير المعاصر، وإلى أيّ مدى تختلف هذه المحاجات عن تلك المستخدمة في التفسير ما قبل الحديث؟ وهل استَخدم المفسِّرون المعاصرون نفس المنهجيات التي استُخدمت في التفسير ما قبل الحديث لتفسير الآيات؟ وما مدى التوسع في رفض الروايات والاعتماد فقط على القرآن في التفسير المعاصر، أي الاستدلال طبقًا لمبدأ «القرآن منفردًا» (solo corano)، وهو المبدأ الذي صاغه محمد بكاري (Mehmet Paçacı)[١].

للإجابة على هذه التساؤلات لا بد أولًا من معالجة ما يأتي: إلى أيّ مدى تختلف تفسيرات العلماء المتخصصين عن التفسيرات البسيطة التي ألّفها غير المتخصصين والآراء التي وردت على شبكة الإنترنت؟ وهل هناك تفاوت على الصعيد الإقليمي في عملية التفسير؟ وهل تلعب الخلفية الدينية والطائفية دورًا

(1) Mehmet Paçacı, „Was ist in der Moderne aus Koran und Koranexegese geworden?“, in: Felix Körner (Hg.), Alter Text – neuer Kontext. Koranhermeneutik in der Türkei heute, eingeleitet, übersetzt und kommentiert von Felix Körner SJ, Freiburg u.a. 2006, 130- 159, 148.

في عملية التفسير؟ وفي ضوء الاهتمام بتقديم نظرة عامة جيدة وتفادي التكرار فسوف يتم عرض الآراء من خلال طرح التفسيرات والبراهين التي أوردها المفسِّرون، وليس في إطار كلّ عمل على حدة.

لكن أولًا لا بد من التأكيد على أن التفسيرات المعاصرة للآية الأولى من سورة القمر كثيرة ومختلفة إلى حدّ مدهش؛ لأنها بجانب التفسيرات التراثية المشهورة تضيف تفسيرات أخرى لم تُعالج في التفسير التراثي، كما أن هذه التفاسير تقتبس إلى حدّ ما الحجج المشهورة من التراث المتعلّق بعلوم القرآن، إلا أنها أحيانًا تعيد استخدام هذه الحجج بشكلٍ مختلف أو تستخدمها في سياقات أخرى. وأحيانًا أخرى يتم صياغة حجج جديدة بالكامل من أجل تدعيم التفسير الذاتي المتعلّق بالمفسِّر.

وبالرجوع إلى التفسيرات الثلاثة التي قدّمها التفسير التراثي (التفسير التاريخي القائل بانشقاق القمر كعلامة على صدق محمد، والتفسير الإسكاتولوجي كعلامة على دنوّ الساعة، والتفسير المجازي بمعنى انشقاق الظلمة عند طلوع القمر)، فإنّ التفسيرين الأولين فقط من الأهمية بمكان في التفسير المعاصر للآيات. وقد ذكر محمد عليّ والطبطبائي التفسير المجازي، لكن الطبطبائي رفضه بوضوح[١]. على عكس ذلك حاول يوسف عليّ الربط

(1) ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1022.

الطبطائي، الميزان، المجلد التاسع عشر، ص٦٢.

بين التفسيرات الثلاثة[١]. فيما عدا ذلك لم يتم ذكر التفسير المجازي من أغلب المفسِّرين بوصفه احتمالًا ممكنًا ولو مرّة واحدة، لكن هذا التفسير يظهر بين حين وآخر على النقاشات الموجودة على شبكة الإنترنت[٢]. وكما تم التوضيح سابقًا لا يلعب التفسير المجازي دورًا بارزًا في التفسير التراثي، وبالرغم من ذلك تم ذِكره بكثرة بوصفه احتمالًا ولم يتبنّاه سوى عدد محدود من المفسِّرين.

كذلك لم يهمل التفسير المعاصر ما يسمى بالتفسير التاريخي للآية باعتباره معجزة على صدق محمد أو التفسير الإسكاتولوجي بوصفه علامة من علامات دنوّ الساعة التي لم تتحقق بعد[٣]. إضافة إلى ذلك اشتمل التفسير

---

(1) Yusuf Ali, The Holy Qurʾān, 3, 1454.

(٢) على سبيل المثال:

http://de.answers.yahoo.com/question/index?qid=20080418081858AAu7RiH (21. 11. 2008)

(٣) ورد التفسير التاريخي بوصفه معجزة دالة على صِدق محمد عند كل من:

الجزائري (أسرار التفسير، المجلد الرابع، ص٣٥٨ وما يليها).

الطبطبائي (الميزان، المجد التاسع عشر، ص٦٠- ٧٢).

الطنطاوي (التفسير الوسيط، المجلد السادس والعشرون والسابع والعشرون، ص١٢٠ وما بعدها).

Nursi (Risale-i Nur, 4, 798-803), Rassoul (Tafsīr,1213f.) Šafīʿ (Maʿārif, 7, 237- 241) al-Ṣāliḥ(http://www.understand-islam.net/audio/Quraan%20.%20%20.%203.%20Tafseer%20-%20Explanation%20of%20the%20Glorious%20Qur%27aan/Tafseer%20%20Explanation%20Surah.54.%20Al-Qamar/01-Tafseer%20Soorat%20A-Qamar%201-8.mp3, (21. 10. 08).

أمّا التفسير الإسكاتولوجي فقد تبنّاه كل من:

Asad (The Message of the Qurʾān, 818).
Ateş (Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 149- 156).

المراغي (تفسير المراغي، المجلد السابع والعشرون، ص٧٤- ٧٨).

المعاصر على تأويلات أخرى لم يأتِ التفسير التراثي على ذكرها: منها تفسيران تاريخيان يظهر بينهما التباين قائمان على النظرة التاريخية لقوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، إلا أنهما لم يجعلا من انشقاق القمر معجزة على صدق محمد. أحد هذين التفسيرين سلك مسلك الرؤية التقليدية التاريخية بشكلٍ كبيرٍ معتمدًا بالأساس على الروايات التي تحدّثت عن انشقاق القمر في عهد محمد، ومع ذلك لا يرى هذا التوجّهُ انشقاقَ القمر على أنه معجزة على صِدق محمد، (ومن الذين مثّلوا هذا الرأي محمد عليّ[١]، وأبو الأعلى المودودي[٢]، وسيد قطب[٣]). أمّا التفسير الثاني فيفسر قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ بانفصال القمر عن الأرض؛ منطلقًا من أن انشقاق القمر قد حدث منذ زمن بعيد جدًّا، (وهذا رأي محمد عليّ حسن الهلالي)[٤]. أمّا التفسير الإسكاتولوجي المعاصر فلا يخلو أيضًا من تعدّد الآراء؛ فالآية التي نزلت وقت الوحي تشير إلى المستقبل، وتتكهّن بحَدَث سيقع في خلال فترة معينة من الوقت، وقد كان حيث وقع أول

(1) Muḥammad ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1022; ders. Bayān ul-Qurʾān, 3, 1785f., zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 363f. ʿAlī ist in seinen Deutungen jedoch widersprüchlich (s.u.).

(2) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).

(٣) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٥- ٣٤٢٨.

(4) http://tgq.t35.com/4.htm# القمر_ينشق_نصفين_(27. 10. 08).

هبوط على سطح القمر في عام ١٩٦٩ (ويمثّل هذا الرأي رشاد خليفة[١]، وهارون يحيى)[٢].

وهناك رأي آخر لم يظهر أيضًا سوى في التفسير المعاصر، حيث يفسر هذا الرأي لفظ القمر على أنه رمزٌ يشير إلى العرب، كما يفسر الآية على أنها نبوءة على زوال مملكة العرب، أو بالأحرى انهزام قريش في مواجهتها مع محمد، ويمثّل هذا الرأي بشير الدين محمود[٣]، كما يمثّله بعض الأشخاص ممن لهم صِلَة بحركة الأحمدية[٤]. علاوة على ذلك، فإن هذا الرأي يبدو مشهورًا في باكستان، لا سيما أنّ شبير أحمد، وهو أحد المعارضين المعروفين لحركة الأحمدية قال بمثل هذا الرأي[٥]، كما قال به غلام أحمد برويز[٦]، وهو على حسَب علمي ليس معروفًا بارتباطه بالأحمدية. أمّا بخصوص محمد عليّ فإنه في ترجمته للقرآن إلى اللغة الإنجليزية لا يكتفي فقط بالتفسير التاريخي للآية،

(1) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).
(2) http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_02.html (12. 10. 08).
(3) Bašīruddīn Maḥmūd, Tafsīr-i Saġīr, 16. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 362.
(٤) هذا ما ورَدَ على سبيل المثال في ترجمة القرآن للطائفة الأحمدية، حيث جاء التعقيب على الآية الأولى من سورة القمر كما يأتي: «كان القمر عند العرب رمزًا للحكم والسيادة، وعليه فالآية تدل على قرب سقوط الدول العربية»، انظر:

Der Heilige Qur-ân: Arabisch und Deutsch. Hrsg. unter der Leitung von Hazrat Mirza Tahir Ahmad,
5. Auflage, Frankfurt am Main 1989, 646, Anm. 199.

(5) Ahmed, The Qurʾan As It Explains Itself, 603.
(6) http://www.tolueislam.com/Parwez/expo/expo_054.htm (2. 12. 08).

قارن: Siddiqi, Modern Trends, 362

بل يضيف بجانب ذلك التفسير الرمزي دون أن يوضح كيف يمكن التوفيق بين كِلا التفسيرين[١]. على خلاف ذلك، حاول كلٌّ من هارون يحيى[٢] ويوسف عليّ[٣] بكلّ وضوح أن يقومَا بالتوفيق بين احتمالين أو ثلاثة احتمالات من التفسيرات الممكنة للآية. وبشكلٍ عام يمكن التمييز بين الآراء المختلفة الواردة في التفسير المعاصر كما يأتي:

- التفسير التاريخي (انشقاق القمر كمعجزة دالة على صِدق محمد).
- التفسير التاريخي (وقع انشقاق القمر في زمن محمد، لكن ليس بالضرورة أن يكون ذلك معجزة دالة على صِدقه).
- التفسير التاريخي (التحقق التاريخي من انشقاق القمر، لكن لم يقع ذلك في زمن محمد).
- التفسير الإسكاتولوجي (انشقاق القمر كعلامة من علامات دنوّ الساعة التي لم تقع بعد).
- التفسير الإسكاتولوجي (ورود حدوث انشقاق القمر في أيّ وقت كعلامة من علامات دنوّ الساعة).
- التفسير المجازي (مجيء قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ بمعنى وضوح الأمر وظهوره).

(1) ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1021f.
(2) *http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_02.html* (12. 10. 08).
(3) Yusuf Ali, The Holy Qurʾān, 3, 1454.

- التفسير الرمزي (مجيء لفظ ﴿ٱلْقَمَرُ﴾ كرمز دال على العرب).
- التفسير المتعدد (﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ يمكن أن تُفهم في نفس الوقت بشكل تاريخي وإسكاتولوجي، ومن الممكن أن تفهم بشكل مجازي كذلك).

وإلى حدّ ما أرى أنه لا يوجد أحد من المعاصرين قال بالترجيح من عدمه في التفسيرات التي تستبعد بعضها بعضًا. وبالنظر إلى الاحتمالات الواردة الكامنة في التفسيرات، فإنه في نهاية المطاف لا يوجد ترجيح لأحد هذه الاحتمالات وأيّ التفسيرات يمكن أن يكون صحيحًا. ومع كلّ هذا الاختلاف في التفسيرات يبدو بوضوح أن هناك اتفاقًا بين المؤلِّفين أن هناك تفسيرًا واحدًا صحيحًا وأنّ إدراك هذا التفسير أمرٌ ممكن أيضًا.

ولأنّ المفسِّرين برهنوا على مواقفهم المختلفة بشكلٍ متباين وجيّد، سنعرض في التالي أهمّ الحجج التي استخدموها لتقوية تفسيراتهم. ويمكن القول ولو بشكل عام إنّ التفسير التاريخي هو الأكثر انتشارًا على نطاق واسع، وهو ذات التفسير الذي تم فرضه في الأعمال التفسيرية التراثية، وفيه تدلّ الآية الأولى من سورة القمر على معجزة دالة على صدق محمد. لذا اقتبس المعاصرون أحيانًا من الحجج التي ساقها التفسير التراثي، وأحيانًا أخرى انتزعوها دون عناء يُذكر، وأحيانًا ساقوا استدلالاتهم الجديدة بالكامل والتي لا علاقة لها بالتفسير التراثي.

وكما هو معروف في التفسير التراثي فإنّ قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ يدل على حدثٍ قد وقع على سبيل الوجوب في الماضي، وقد قال بمثل هذا من المعاصرين محمد عليّ[١] والطبطبائي[٢]. وأنّ الدليل الثاني على هذا الرأي ثابتٌ عن طريق القرينة الدالة على المعجزة الواردة في الآية الثانية من سورة القمر حيث تقول: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ﴾. وقد وردَ هذا الاستدلال في إطار العلاقة القائمة بين الآيتين عند المودودي[٣] والطبطبائي[٤] على سبيل المثال. وبنفس القياس أضاف بعضُهم دليلًا آخر ليس موجودًا في التفسير التراثي: فسورة القمر تدعو في العموم إلى التأمل، وتقدِّم نوعًا من التجانس بين الأسطر الأولى وبقية السورة، كما أنّ الآيات التي جاءت بعد انشقاق القمر تتحدث عن أنبياء آخرين (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى)، وهم أنبياء جَحَد بهم أقوامهم وأنكروا معجزاتهم التي جاؤوا بها؛ لذا لزم أن يُفهم من الآية الأولى أنها تدلّ على حدث تاريخي وليس على نهاية الزمان، لأنّ القمر -خلافًا لهذا- سيؤول في نهاية الزمان إلى الاصطدام بالشمس كما تنبّأت بذلك الآيات الواردة في سورة

(1) ʿAlī, Bayān ul-Qurʾān, 3, 1785f., zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 363f.
جاء هذا بالتفصيل في التفسير الذي قدّمه محمد علي باللغة الأردية، لكنه غير مذكور في الترجمة الإنجليزية لكتابه.

(٢) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦٧.

(3) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).

(٤) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦١ وما بعدها.

القيامة[١]. وهذا أيضًا -كما قال بعضهم- يتوافق مع العلم؛ لأنّ القمر يبتعد عن الأرض حوالى ٣ سم بمعدلٍ سنوي، وأنه في وقتٍ ما سيصطدم مع الشمس بسبب قوّة جاذبيتها. وفي آخر الأمر يمكن أن يكون هذا دليلًا مقبولًا على اقتراب الساعة، لا سيما أن الخمسة عشر قرنًا التي مرّت على انشقاق القمر لا تمثّل سوى جزء ضئيل جدًّا من تاريخ الكون، أي من تاريخ الكون حتى قيام الساعة، لا سيما أن هذا الكون قائم منذ مليارات السنين[٢].

وبشكل عام يلعب الاحتجاجُ بالقرآن أو بالسياق الذي وُجدت فيه الآيات دورًا ضئيلًا في التفسير المعاصر، لكن المبالغة تأتي من خلال السعي إلى إثبات تاريخية انشقاق القمر من خلال الروايات النبوية، لا سيما أن التفسير التراثي يرى في الروايات السند الأهمّ على حجية التفسير التاريخي؛ لذا ادّعى بعض المفسرين المعاصرين أن الروايات حول انشقاق القمر قد بلغت حد التواتر، وأنها موثقة بشكل لا بأس به، ومِن ثَم استحال وقوع التحريف فيها، ومن بين

(١) ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٧- ٩].

(2) http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AAbout_Islam/AskAboutIslamE/AskAboutIslamE&cid=1123996016540 (11. 10. 08).

من المثير للاهتمام أن هذا النقاش قائم فقط على صفحة الإنترنت الناطقة بالإنجليزية، لكن لا أثر لمثل هذا النقاش على صفحة نفس الموقع الناطقة بالعربية.

هؤلاء المفسرين محمد عليّ[١]، وسيد قطب[٢]، ومحمد شفيع[٣]، ومحمد سيد طنطاوي[٤]، وبديع الزمان النورسي[٥]. وبطبيعة الحال فإنّ هذا الاستدلال بتواتر الأحاديث موجود أيضًا في التفسير التراثي، لكنه ما زال محلّ جدل حتى اليوم كما كان من ذي قبل، ويتضح هذا من موقف بعض المؤلفين الآخرين، حيث اعتبروا أن الروايات لا تصل لحد التواتر، لكنها موثوقة بما فيه الكفاية، وأنه يمكن وصفها بالصحيحة. وقد تفرّد الطبطبائي فتعاطى باختصار مع الروايات الشيعية المتعلقة بانشقاق القمر، غير أنه لم يستزد على أن انشقاق القمر كمعجزة لمحمد قد تم ذكرها في كثير من الروايات الشيعية المختلفة استنادًا إلى أقوال كثير من الأئمة، وذلك دون أن يذكر هذه الروايات، مما يعني أنه اقتصر في ذكره للروايات على تلك المشهورة عند أهل السنّة في تراث علوم القرآن[٦]. وكنتيجة لذلك استند الطبطبائي إلى دليل آخر لصالح التفسير

(1) Alī, Bayān ul-Qurʾān, 3, 1785f. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 363f.
بينما لم تذكر ترجمة محمد علي الصادرة عام ١٩١٧ أيّ شيء عن تواتر الروايات، إلا أن الطبعات الصادرة عام ١٩٧٣ و٢٠٠٢ أشارت إلى هذا التواتر من خلال ابن الأثير، قارن:
ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1022, mit ders., The Holy Qurʾān. Arabic Text, English Translation and Commentary, Lahore 1973, 1007, und ders., The Holy Quran. Arabic Text with English Translation, Commentary and comprehensive Introduction, Lahore 2002, 1036 (alle Auflagen im Internet verfügbar unter http://www.aaiil.org/text/hq/hqmain.shtml (2. 12. 08)).

(٢) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٥.

(3) Šafīʿ, Maʿārif, 8, 238.

(٤) طنطاوي، التفسير الوسيط، المجلد السادس والعشرون والسابع والعشرون، ص١٢٠.

(5) Nursi, Risale-i Nur, 4, 799.

(٦) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦٥ وما بعدها.

التاريخي للآية، وهو أنّ الجانبين من السنّة والشيعة اتفقوا على معنى الآية التي تتحدث عن انشقاق القمر[١].

لكن الروايات المتعلّقة بمجريات الأحداث يشوبها التعارض إلى حدّ ما، لدرجة أن المحاولات لا تتوقف مرارًا وتكرارًا لإيضاح مثل هذه التناقضات، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مطالعة إحدى صفحات الإنترنت، حيث جاء فيها أن انشقاق القمر كان أمرًا قد تمّ الإعلان عنه من قبل، وأن الجميع في مكة قد ترقبوا حدوث ذلك، وأن مَن عاين الانشقاق، عاينه طبقًا لمكان تواجده، فتارة رأى بعضُهم شقًّا منه على جبل الصفا والشقّ الآخر على جبل المروة، وتارة أخرى انشقت فلقتا القمر بين جبل حراء، وتارة أخرى ظهر نصف القمر على جبل أبي قبيس، بينما ظهر نصفه الآخر على جبل قُعَيْقِعان[٢]. على عكس ذلك ذهب محمد شفيع إلى أن الله قد شقّ القمر إلى نصفين، نصف رآه الناس على جبل في الغرب، أمّا النصف الآخر فقد عاينه الناس على جبل في الشرق، وبين النصفين رأى الناس جبلًا آخر[٣]. ويبدو جليًّا أن كِلتا هاتين الرؤيتين ما هما إلا محاولة للتوفيق بين روايتين أو أكثر من الروايات المتعارضة مع بعضها.

(١) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦٧.

(2) http://www.thequranandscience.com/articles.php?topic=part9 (21. 10. 08).
(3) Šafīʿ, Maʿārif, 8, 239.

أمّا بعض المؤلّفين الآخرين فقد أغفلوا إضافة مزيد من التوضيحات حول الطريقة التي جرت بها الأحداث، وربطوا بشكلٍ تعسّفي بين المعلومات الواردة في الروايات النبوية والمعلومات الواردة في كتب علوم القرآن المتأخّرة، لدرجة أن هيئة انشقاق القمر في التفسير المعاصر أكثر تنوّعًا من تلك التي وردت في الروايات النبوية، بالرغم مما تحويه تلك الروايات النبوية من تنوع شديد في وصف الأحداث.

نفس الأمر ينطبق على بعض المؤلّفين الذين يؤيّدون التفسير التاريخي للآية، وإن كانوا لا يتحرّجون من رفض الاستشهاد على ذلك من الروايات، وإن كانت تفسيراتهم على خلاف ذلك؛ لأنها بدت في حقيقة الأمر مرتبطة بالروايات إلى حدّ كبير. لذا يذهب أبو بكر الجزائري أن القمر قد انشقّ بالفعل لغاية الإعجاز على صِدْق النبيّ وكعلامة على نهاية الزمان، وأن انشقاق القمر قد وقع في مكة لمّا سألته قريش أن يريهم آية كدليل على صدق نبوّته، فسأل النبيُّ ربَّه أن يشقّ لهم القمر، وقد حدث هذا، فانشقّ القمر إلى فلقتين؛ فلقة رآها الناس على جبل قبيس وفلقة توارت خلف الجبل، ومع أن قريشًا رأت انشقاق القمر إلا أنها لم تؤمن به، فنزل قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[1]. ولعلّ المعلومات التي ذكرها أبو بكر الجزائري مجموعة من أكثر من رواية،

(١) الجزائري، أسرار التفسير، المجلد الرابع، ص٣٥٨ وما بعدها.

وبقدر ما أرى أنه لا يوجد حديث يجمع بين مطالبة قريش للنبيّ بأن يأتي لهم بآية دالة على صدقه وبين هيئة انشقاق القمر؛ بحيث أنّ أحد شقّي القمر كان ظاهرًا فوق الجبل، بينما اختفى الشقّ الآخر خلف هذا الجبل. إضافة لذلك فإن الجبل الذي تتحدّث عنه الروايات من أن نصف القمر قد علا فوقه ونصفه الآخر قد اختفى خلفه هو جبل حراء وليس جبل أبي قبيس؛ لذا يمكن افتراض التناول التعسّفي للجزائري مع الروايات النبوية، ثم لماذا قصر أبو بكر الجزائري الأهمية على هذه المعلومات بينما أهمل الأخرى! سؤال لم ترِد إجابته عنده.

دليل آخر ساقه بديع الزمان النورسي من بين مفسِّرين آخرين للدفاع عن الرؤية التاريخية للآية، ويكمن هذا الدليل في الإجماع المفترض بين العلماء على الفهم التاريخي للآية[١]. وقد وردَت هذه الحجة بين الحين والآخر في التفسير التراثي، بالرغم من أن مثل هذا الإجماع العام لم يتحقّق قط[٢]. إلا أنه مع بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يمكن ملاحظة التقبل المتزايد لقضية انشقاق القمر بوصفها معجزة صدق على نبوّة محمد[٣]. ومنذ هذا الوقت صار انشقاق القمر جزءًا ثابتًا من سيرة النبيّ[٤]. وقد استشهد محمد

(1) Nursi, Risale-i Nur, 4, 802.
(2) Schöller, Spaltung, 235 und Anm. 203.
(3) Schöller, Spaltung, 253.
(4) Schöller, Spaltung, 183- 191, 253.

سيد طنطاوي في هذه المسألة بابن كثير الذي أشار إلى إجماع العلماء حولها[١].

بينما يرى محمد سالم الكياني أن الإجماع على الأقل منعقد من حيث وقوع الأمر، لكنه غير منعقد على طبيعة الأحداث نفسها، ومن ثم يتساءل محمد سالم الكياني، هل أن القمر بالفعل انقسم إلى نصفين بشكل مادي (فيزيائي)، وهل كانت رؤيته مقتصرة فقط على قريش، وما المكان الذي انشق فيه القمر، وما الزمان الذي حدث فيه ذلك الانشقاق[٢]. في حين أن بعض المفسِّرين الآخرين لم يتعاطَ بشكلٍ واضح مع مسألة إجماع العلماء حول الأمر، لكنهم اكتفوا بحصر الموضوع في إطار التفسير التاريخي، ومن هؤلاء على سبيل المثال: أبو بكر الجزائري[٣]، ومحمد رسول[٤]، وصالح الصالح[٥].

بالرغم من تلك الأدلة الثلاثة -وهي القرآن والروايات النبوية والإجماع- فإن التفسير التاريخي قبل كل شيء اتسم بالمواجهة مع حجتين من الحجج المضادة؛ الأولى تكمن في الاحتجاج أنه لو كان انقسام القمر أمرًا تاريخيًّا لنُقل

(١) طنطاوي، التفسير الوسيط، المجلد السادس والعشرون والسابع والعشرون، ص١٢١.

(2) http://www.salaam.co.uk/download/download.php?filename=Surah_al-Qamar_Part_1.mp3 (24. 10. 08).

(٣) الجزائري، أسرار التفسير، المجلد الرابع، ص٣٥٨ وما بعدها.

(4) Rassoul, Tafsīr, 1213f.

(5) http://www.understand-islam.net/audio/Quraan%20.%20-%20.%203.%20Tafseer%20-%20Explanation%20of%20the%20Glorious%20Qur%27aan/Tafseer%20-%20Explanation%20Surah.54.%20Al-Qamar/01-Tafseer%20Soorat%20A-Qamar%201-8.mp3 (21. 10. 08).

متواترًا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، وبناء عليه توجب أن يتم ذكر ذلك في المصادر غير الإسلامية. أمّا الحجة الثانية فتكمن في احتجاج بعض المؤلفين من أن حادثة كانشقاق القمر أمر غير قابل للحدوث مطلقًا.

وفي مواجهة تلك الادعاءات اعتمد المفسِّرون المعاصرون بين الحين والآخر على بعض الحُجَج التي وردت في التفسير ما قبل الحديث، حيث ينبغي على هذه الحجج أن تبني موقفًا في مقابل هذه الادعاءات ضد التفسير التاريخي للآية، لكن التفسير المعاصر اقتبس من هذه الحجج بعد تعديلها بشكلٍ كبيرٍ أحيانًا أو بشكلٍ ليس بالكبير أحيانًا أخرى. ويأتي في الصدارة التساؤل، لماذا لم يشترك أهل الأرض كلّهم في رؤية انشقاق القمر، ولماذا ورد ذلك فقط في المصادر الإسلامية! وقد اعتبر هذا التساؤل واحدًا من التساؤلات الجوهرية في التفسير التراثي، وقد استُخدمت قديمًا تلك الشهادة المفقودة على الأحداث من خارج المصادر الإسلامية كدليل على عدم موثوقية التفسير التاريخي من حيث وقوعه في زمان محمد[١]. وطبقًا لذلك توجب إيجاد الحجج التي تفنّد هذا الادعاء؛ لذا تم ذِكْر بعض المعطيات والتي من شأنها يمكن أن تؤدي إلى أنّ انشقاق القمر لا يُستبعَد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم أو غيره يمنع من رؤيته، أو قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق

(1) Schöller, Spaltung, 215.

دون بعض، أو أن ذلك لم يدُم طويلًا (مع أن هذا الاحتمال لم يرِد في التراث)، أو أن الناس لم يلحظوا ذلك بسبب غياب الخبرة الفنية في مراقبة الأجرام السماوية، أو أن انشقاق القمر آية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليلة ومعظم الناس نيام، أو أنّ انشقاق القمر كان من قبِيل الترائي والخداع الحِسّي[١]. وقد أورد هذه الردود كلٌّ من أبي الأعلى المودودي[٢]، وبديع الزمان النورسي[٣]، ومحمد شفيع[٤]، وصالح الصالح[٥]، والطبطبائي[٦]، كما يمكن ملاحظة وجود تلك الحجج على العديد من صفحات الإنترنت التي اهتمت بقضية انشقاق القمر.

أمّا الاحتجاج الثاني في مواجهة هذه الادعاءات فيفترض وقوع الأحداث حقيقة وأنه من المحتمل أن يكون الناس من خارج مكة قد رأوها لكنهم لم يحكوا عنها شيئًا؛ لذا يذكر التفسير التراثي أن الكثرة التي شاهدت الأحداث أو تمكّنت من مشاهدتها ولو على سبيل الاحتمال كانوا من الكافرين الذين لم يلتفتوا للأمر، ولم يروا فيه معجزة تدلّ على صدق محمد، بل على العكس من

(1) Schöller, Spaltung, 178, 215ff., 237- 248.
(2) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).
(3) Nursi, Risale-i Nur, 4, 800f.
(4) Šafīʿ, Maʿārif, 8, 241.
(5) http://www.understand-islam.net/audio/Quraan%20.%20-%20.%203.%20Tafseer%20-%20Explanation%20of%20the%20Glorious%20Qur%27aan/Tafseer%20-%20Explanation%20Surah.54.%20Al-Qamar/01-Tafseer%20Soorat%20A-Qamar%201-8.mp3 (21. 10. 08).

(٦) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٧٢.

ذلك فقد تعمّدوا إخفاء الأمر[١]. ولا تلعب هذه الحُجّة دورًا يُذكر في التفسير المعاصر. وعلى حسَب ما أرى فقد اقتصر ذكرها عند الطبطبائي[٢]، كما لا تظهر بشكلٍ كبيرٍ على النقاشات المحتدمة على صفحات الإنترنت[٣].

أمّا الاتجاه الثالث من الحجج فيحاول تأكيد الأحداث من خلال زعم وجودها في المراجع غير الإسلامية، ويتواجد هذا النمط من الاستدلال في التفسير التراثي بشكلٍ متناثر منذ القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ويُحكى الخبر عن وجود بناية في الهند كُتب عليها: بُنيت ليلة انشقاق القمر[٤]. كما توجد قصة مشابهة لذلك ارتبطت أحداثها بالهند، وهي قصة عجيبة تُحكى عن رطن (Raṭan) (أو راتان: Ratan) الهندي، الذي رأى انشقاق القمر بأمّ عينه، وقد طال عمر راتان هذا فعاش ستمائة عام بعد رؤيته لانشقاق القمر، لدرجة أن كثيرًا من الرواة استطاعوا أن ينقلوا عنه تلك القصة التي عايشها، وقد أورد ابن حجر تلك القصة معلقًا عليها بالتدليس[٥]. ولا تلعب هاتان الروايتان دورًا يُذكر في التفسير التراثي. كما نشأت على الأرجح قصة أخرى في القرن

(1) Schöller, Spaltung, 269, 282.

(٢) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٧٢.

(3) http://forum.bismikaallahuma.org/showpost.php?p=34137&postcount=22 etwa begründet
das Fehlen von nichtmuslimischen Belegen für die Mondspaltung unter anderem damit, dass viele Nichtmuslime skeptisch seien und nicht daran hätten glauben wollen (28. 11. 08).

(4) Schöller, Spaltung, 269ff.

(5) Schöller, Spaltung, 271- 274.

الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[١] تتضمن ذكرًا عن أحد ملوك الهند الذي شاهد انشقاق القمر، ثم اعتنق الإسلام حينما علم السبب. وفي مقابل هذه الروايات المقتضبة إلى حدٍّ ما تبدو الرواية التالية أكثر تشويقًا: حيث إن جبريل قد أتى النبيّ فأخبره بأنّ أحدهم سيطلب منه أن يشقّ القمر، فلما حدث ذلك شاهده أحد ملوك الهند فاعتنق الإسلام، لكن الأمر لم يقتصر على ذلك فقط، بل هبط القمر بنفسه إلى الأرض ليتحدّث مع محمد، وإذا به يدخل في جيب النبي الأيمن ثم يخرج من كمّه الأيسر، وما زال منشقًا بعض الوقت حتى بدا ذلك واضحًا في السماء قبل أن يعود كما كان، حتى غاب أخيرًا. أمّا الملك الهندي الذي شاهد انشقاق القمر واعتنق الإسلام فتذكره بعض المراجع باسم جاكرواني فرماس (Šakarwatī Farmāḍ) ولفظ جاكرواني هذا أصله راجع إلى اللغة الهندية القديمة ويعنى سيد العالم[٢].

ويبدو أنّ الهدف الرئيس من هذه القصة وما يشبهها من قصص أخرى هو إثبات التجذر القديم للإسلام بقدر الإمكان في كيرلا (Kerala) في جنوب

(١) هذه القصة موثقة الذِّكر منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أي في وقت متأخر عن هذا، لكنها من المحتمل أن يكون وقت ظهورها قبل ذلك.

(٢) المخطوطة التي حوت هذه القصة تمّت معالجتها بالتفصيل من قبل يوحنا فريد مان (Yohanan Friedmann)، انظر:

Yohanan Friedmann, „Qiṣṣat Shakarwatī Farmāḍ. A tradition concerning the introduction of Islām into Malabar“, in: Israel Oriental Studies 5 (1975), 233- 258.

الهند، حيث تحظى هذه الروايات بالشهرة هناك منذ أمدٍ بعيد[١]. وتبدو القصة الأخيرة المذكورة أعلاه نسخة واضحة المعالم بحيث شكّلت نموذجًا يُحتذى به لخدمة غيرها من القصص المشابهة، ومن بين مؤلِّفين آخرين ذكر زين الدين المعبري هذه القصة في كتابه: (تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين) والذي ألّفه في القرن السادس الهجري/ العاشر الميلادي[٢]. كما ذُكرت هذه القضية أيضًا بطريقة مشابهة في كتاب (تاريخ فرشته) لمحمد قاسم هندو شاه استرآبادي، والذي كتبه في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي[٣].

فبينما لم يكن لهذه القصة أيّ صدى في التفسير التراثي، إلا أنها بصياغاتها المختلفة وما تحويه من طرق تشويقية عدّة لعبت دورًا بارزًا في التفسير المعاصر، خاصّة في النقاشات المحتدمة على شبكة الإنترنت؛ لذا ظهر بجانب جاكرواني فرماس اسم آخر لملك الهند وهو شيرومال بيرومال (Cheruman Perumal)[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤١.

(٤) على سبيل المثال:

http://answers.yahoo.com/question/index;_ylt=Au6KuDKZFZjtekCBqS65Ru7ty6IX;_ylv=3?qid=20080402094126AAP0i88 (21. 10. 08).

كما تبيّن أنّ هناك محاولات للتوفيق بين الخيارات المختلفة؛ لذلك يُوجد على إحدى صفحات الإنترنت توضيحٌ أنّ القمر قد شاهده ملِكان من ملوك الهند، وهما بهوج (Bhoj) من مملكة مالوا (Malwa) وزامورين بيرومال (Zamorin Perumal) من مملكة كيرلا[١]، في حين أن إحدى الصفحات الأخرى تحدّثت عن ثلاثة ملوك رأوا الأحداث، أي أنّ الأمر لم يقتصر فقط على اثنين[٢].

وبينما يُستشهد بالقصة في الأعمال التي صدرت باللغة الأردية لمحمد شفيع وأبي الأعلى المودودي بوصفها برهانًا على ثبوتية الحدث التاريخي المتعلّق بانقسام القمر، حيث استدلّ محمد شفيع بتاريخ فرشته[٣]، بينما اعتمد أبو الأعلى المودودي على تاريخ مالابار[٤]، إلا أنّ هذه القصة لم ترِد عند أغلب المفسِّرين العرب في تفسيراتهم. لكن الأمر مختلف على صفحات الإنترنت، فالقصة في غاية الشهرة هناك، حيث تظهر في المقام الأول على أنها اقتباس من كتاب (محمد رسول الله)، الذي دوّنه محمد حميد الله (Muhammad Hamidullah)، وفي أحد فصول هذا الكتاب يتحدّث حميد الله عن انتشار

(1) http://www.islamicvoice.com/august.99/science.htm (21. 10. 08).
(2) http://islamicfocusarticles.blogspot.com/2008/05/moon-splitting.html (21. 10. 08).
(3) Šafī', Maʿārif, 8, 241.
(4) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).

الإسلام في الهند، كما تحدّث عن مخطوطة في لندن جاء فيها ذكر الملِك جاكرواني فرماس باستفاضة[١].

ويوجد هذا الاقتباس من كتاب حميد الله على الكثير من صفحات الإنترنت مع ذكر مصدر الاقتباس أحيانًا، وأحيانًا أخرى بدونه[٢]. والحقيقة أنّ المراجع التي ذكرها حميد الله ليست صحيحة على الإطلاق، وأن المخطوطة التي أشار إليها هي نفسها التي قدّمنا ما فيها قبل ذلك بشكل مختصر[٣]. وأن

(1) Muhammad Hamidullah, Muhammad Rasulullah (Salla'llahu alaihi wa sallam). A concise survey of the life and work of the founder of Islam, Karachi 1979, 107f.

(٢) على سبيل المثال:

http://www.cyberistan.org/islamic/farmas.html,
http://www.alzakera.eu/fardiga/Ijaz-0005.htm,
http://www.truemiracle.net/moonspiliting.htm,
http://varnam.org/blog/2005/08/the_myth_of_cheraman_perumals/#comment-1792,
http://www.readingislam.com/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AAbout_Islam/AskAboutIslamE/AskAboutIslamE&cid=1123996016540 (alle 2. 12. 08).

(٣) المرجع الذي أشار إليه حميد الله هو كالآتي:

„Arabic 2807, fols. 152-173" in der India Office Library.

لكن قصة جاكرواني فرماس مرجعها كالآتي:

India Office, Islamic 2807, fols. 81- 104.

لكن الذي ذكرها حميد الله تحوي شعرًا لمحمد بن عبد العزيز الكاليكوتي الشافعي وكان ذلك في زمن المستكشف فاسكو دا جاما (Vasco da Gama)، انظر:

Otto Loth, A catalogue of the Arabic manuscripts in the Library of the India Office, Bd. 1, London 1877, 299f. (Nr. 1044).

وأودّ أن أتقدم بالشكر للدكتور كولين بيكر (Colin Baker) من المكتبة الإنجليزية؛ لمساعدته في التثبت من المرجع الخاصّ بمحمد حميد الله.

المؤلِّفين الذين استشهدوا من كتاب حميد الله بما يبرهن على ثبوت الحدث التاريخي لانشقاق القمر لم يتثبتوا بشكل صحيح من مراجعه التي ذكرها. وبالتحقّق من المخطوطة وجدنا أن الأمر لا يقتصر فقط على اقتباس حميد الله من الصفحة الخاطئة، بل تعدّى ذلك بحيث صار من الوضوح من خلال إلقاء نظرة على المخطوطة بكلّ مكوناتها الخيالية والمليئة بالقصص بأنها لا تستند بأيّ حال من الأحوال إلى أيٍّ من الروايات الإسلامية القديمة ولا تمثّل أيّ مصدر ذي مصداقية من خارج الدائرة الإسلامية مطلقًا.

لم يتوقف الأمر عند ذلك، فقد جرت محاولات أخرى على قدمٍ وساقٍ خاصةً على صفحات الإنترنت، حاولَت أن تثبت انشقاق القمر بالاعتماد على مصادر من خارج الدائرة الإسلامية، فجانب الاستشهادات الهندية المشوبة بالوهم (التي لم ترِد سوى في المراجع الإسلامية)، برز استشهادان مشهوران مرتبطان بعضهما ببعض إلى حدّ ما؛ أمّا الاستشهاد الأول فيشير إلى الصور الملتقطة للقمر والتي ينبغي أن تثبت انشقاقه في الماضي. أمّا المسار الثاني من الاستشهادات فيدور حول تصريحات داود موسى بيدكوك[1] (David Musa Pidcock)، وهو مؤسّس ورئيس حزب الرابطة الإسلامي في بريطانيا، حيث تعود التصريحات إلى مداخلة قام بها بيدكوك في أحد مساجد مدينة كاردف

(1) http://www.islamicparty.com/people/david.htm (10. 10. 08).

(Cardiff)[١]. وقد اشتهرت هذه التصريحات على الأرجح من خلال لقاء تلفزيوني أجراه الجيولوجي المصري الدكتور زغلول النجار، رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة[٢]. وحدثَت القصة على هامش إحدى المحاضرات التي جمعَت بيدكوك بالدكتور زغلول النجار، وكان بيدكوك وقتها مسلمًا بالفعل، حيث ساق بيدكوك دليله الذي يؤكّد انشقاق القمر من خلال لقاء تلفزيوني شاهد فيه مجموعة من الخبراء العلميين أكّدوا فيه أن القمر قد انشقّ في يوم من الأيام، ثم التحم مرة أخرى[٣].

لكن بعض الزيادات التشويقية طرأت على هذه القصة في لقاء تلفزيوني آخر مع الدكتور زغلول النجار، فالمحاضرة كما يروي النجار لم تكن سوى في جامعة كاردف، ولم يكن بيدكوك وقتها مسلمًا، بل كان مهتمًّا بالأديان، وكان هذا سببًا في اطّلاعه على القرآن، وكان أول شيء وقعت عليه عيناه كانت الآية

(1)http://www.ipc-kw.com/vb/showthread.php?t=460&page=7, http://www.alamany.net/vb/ showthread.php?t=7800&page=11, (10. 10. 08).

(2) http://www.elnaggarzr.com/aboutus.php, http://www.elnaggarzr.com/en/aboutus.php (10. 10. 08).

(٣) متاحة على:

http://www.ipc-kw.com/vb/showthread.php?t=460&page=7,http://www.alamany.net/vb/showthread.php?t=7800&page=11, oder http://www.toomuch cookies.net/archives/1028/muslime-und-unwissenschaft.htm (10. 10. 08).

الأولى من سورة القمر، مما دفعه للتشكيك في مصداقية القرآن، لكن اللقاء التلفزيوني الذي شاهده بعد ذلك كان سببًا في دخوله الإسلام[١].

وبشكل واضح تُعتبر هذه المقابلة التلفزيونية الأساس لكثير من صفحات الإنترنت، حيث ترى فيها الدليل (العلمي) على إثبات وقوع انشقاق القمر، وأحيانًا يظهر الاسم بداود بيتي كوك (David Pete Cook)[٢]، بينما تذكره أغلب الصفحات بداود موسى بيدكوك[٣]. وأحيانًا أخرى تظهر القصة بدون ذكر للاسم، لكنها تتحدّث عن الرجل الذي طرح المصحف أرضًا لمّا اطّلع على الآية الأُولى من سورة القمر، ثم لمّا شاهد المقابلة التلفزيونية تذكر الأمر، وقاده ذلك لاعتناق الإسلام[٤].

إضافةً إلى ذلك، فإنّ كثيرًا ما تستخدم الصورة الملتقطة للقمر والمنشورة على الموقع الرسمي لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا كدليل على انشقاق القمر، وتُظهِر الصورة[٥] أخدودًا يبلغ طوله حوالي ثلاثمائة كيلومتر ويسمى بأخدود أرياديوس (Ariadaeus Rille) (انظر الصورة في نهاية المقالة). وتوجد هذه

---

(١) توجد المقابلة التي أجراها الدكتور النجار بكثرة على صفحات الإنترنت، انظر:
http://de.youtube.com/watch?v=J5YKoTruv9Q (25. 10. 08).
(2) http://www.freepctools.com/moonsplit.pps (25. 10. 08).
(٣) انظر على سبيل المثال:
http://www.islamcan.com/cgi-bin/increaseiman/htmlfiles/static/107774039613112.shtml (25. 10. 08).
(4)http://www.blinkx.com/video/was-moon-really-split-in-half/LjvueDJ4sU-e-dBkNiqvyA (25. 10. 08).
(5) http://apod.nasa.gov/apod/ap021029.html (9. 10. 08).

الصورة مع التعليقات المتباينة على مئات المواقع بلغات متعدّدة، لكن غالبًا ما يُشار إليها في التعليقات على أنها دليل على انشقاق القمر[١]. ولنفس الغرض تظهَر الصورة أحيانًا في الفيديوهات[٢] أو في العروض المرئية المتاحة على شبكة الإنترنت[٣]. ويعتمد هذا الكمّ من الأدلة المزعومة عن انشقاق القمر على الرحلات المختلفة التي تقوم بها وكالة ناسا للقمر وعلى الصور الذي تقوم نفس الوكالة بنشرها[٤]. ويبقى هذا النوع من الأدلة مشوبًا بالتناقض؛ حيث تشير الكثير من النقاشات المحتدمة إلى وجود مثل هذه التشقّقات على سطح القمر وعلى كواكب أخرى غير القمر، والتي لا توعز بوجود انقسام فيها بالمفهوم الإسلامي على أيّ حال من الأحوال[٥].

---

(١) للاطلاع على نموذجين من ذلك، انظر:

http://www.3iny3ink.com/forum/t98159.html und http://forum.aljayyash.net/86667.html (10. 10. 08).

(٢) على سبيل المثال:

http://www.metacafe.com/watch/1709467// oder http://www.metacafe.com/watch/303737/moon_split_from_nasa/ (10. 10. 08).

(٣) على سبيل المثال:

http://www.authorstream.com/Presentation/Alien-7118-moon-split-picturedistributed-group-people-show-highlight-rocky-streak-found-Mo-moonsplit-ppt-powerpoint/ oder http://www.biharanjuman.org/moonsplit.ppt (10. 10. 08).

(٤) على سبيل المثال:

http://isris.blogspot.com/2006/03/milad-un-nabi.html unter Punkt 52 (20. 11. 08), oder http://www.islamicvoice.com/august.99/science.htm (12. 10. 08).

(٥) انظر على سبيل المثال:

http://www.englishbaby.com/forum/LifeTalk/thread/201556?page=2 (20. 11. 08).

كذلك لا يمكن تجاهل نظرية المؤامرة التي تحيط بمسألة انشقاق القمر، وتعتبر إحدى الدعامات عندما يتعلّق الأمر بالدفاع عن إثبات تاريخية انشقاق القمر؛ لذا يقدّم محمد حميد الله هذه الفرضية ومن ثم يتساءل، لماذا لم تقدم وكالة ناسا نتائجها بشكل قطعي؟! في نفس السياق أشارت صحيفة الجارديان في مقالها الصادر بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٧١، حيث كانت تُجرى التحضيرات لرحلة أبولو ١٥ من أن المسلمين ينتظرون هذه الرحلة على أحرّ من الجمر، وأنهم يأملون أن يقدّم الكشف عن أخدود هادلي ريللي (Hadley-Rille) أدلة على انشقاق القمر[١]. وبسبب هذا الخبر الذي نشرته الجريدة يذهب محمد حميد الله برأيه أنه ربما تمّ إخفاء نتائج هذا الكشف[٢]، بينما يبرز أحد التعليقات على ما ذهب إليه حميد الله من أنه ينبغي التأمل ولو لمرة واحدة، لماذا توقف الأمريكان عن إرسال الرحلات المأهولة بالبشر لسطح القمر[٣].

أمّا الاعتراض الثاني الذي يظهر في وجه أولئك الداعمين لحدوث انشقاق القمر فيتمثّل في السؤال الآتي: إلى أيّ مدى يمكن أن يكون مثل هذا الانشقاق للقمر أمرًا ممكنًا من الأساس؟ فإلى جانب المعارضة القديمة من قِبل العلماء

(1) Dennis Johnson, „Mohammed's moonshot", in: The Guardian, 29. Juli 1971, 11.
(2) Hamidullah, Le prophète de l'Islam. Sa vie, son oevre, Bd. 1, 6. Auflage, Paris 1998, 234.
Zitiert auf: http://www.mejliss.com/showthread.php?t=154696&page=4 (25. 10. 08).
(3) http://www.mejliss.com/showthread.php?t=154696&page=5 (25. 10. 08).

المسلمين للفلاسفة اليونان في هذه النقطة (كما هو الحال عند شفيع)[١]، فإن هناك محاولات مختلفة للتدليل على إمكانية انشقاق القمر؛ مثل عدم كفاية الخبرة الشخصية في إدراك الأمر والتي لا يمكن بسببها غضّ الطرف عن الروايات الموثوقة التي وردت عن النبي[٢]. أمّا محمد عليّ فيفنّد هذا الادعاء القائل بأنّ انشقاق القمر يتعارض مع الحقائق العلمية من خلال الذهاب إلى أنّ معارفنا الحقيقية عن الظواهر الفلكية لا تزال محدودة[٣]. كما أنّ بعضَ المؤلِّفين الآخرين اعتبر التعارض بين علم الفلك الحديث وبين بعض التصورات المأخوذة من علوم الكونيات القديمة دليلًا على أنّ ما تبقّى من علوم الكونيات القديمة بخلاف تلك التصوّرات يمكن أن يشوبها الخطأ، مثل التصوّر القائل بعدم وجود التغيرات على المدارات والأجرام السماوية، وبناء على هذه الفرضية فإن انشقاق القمر أمرٌ ممكن[٤]. لكن صالح الصالح على سبيل المثال أحال الأمر ضمنيًّا إلى قدرة الله، وذلك من خلال قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

(1) Šafīʿ, Maʿārif, 8, 240f.

الجدير بالذِّكْر أن محمد شفيع خلط بين مفهومي العلم اليوناني ما قبل الحديث والعلم اليوناني الحديث بحيث لا يمكن التمييز بوضوح عنده بين السمة الواقعية المتباينة لكل منهما.

(٢) انظر: Riexinger, Sanāʾullāh Amritsarī, 372, Anm. 174.

(3) ʿAlī, Bayān ul-Qurʾān, 3, 1785f. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 363f.

(٤) هذا ما استدل به ثناء الله الآمر تسري (Sanaʾullāh Amritsarī)، انظر:

Riexinger, Sanāʾullāh Amritsarī, 375 und Anm. 188.

شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢][1]، لكن هذا لم يمنع وجود بعض المحاولات التي تريد أن تبرهن بشكل علمي على انشقاق القمر. لذا يستدل أبو الأعلى المودودي بأنه صار من المعروف اليوم أن الأجرام السماوية يمكن أن تتصدّع من الداخل بفعل النشاطات البركانية، كما يمكن لهذه التصدّعات أن تلتئم مجددًا بعد ذلك بفعل الطاقة المغناطيسية[2]. وعلى إحدى صفحات الإنترنت التي سبق ذكرها في هذا البحث تمّت الإشارة إلى آراء الدكتور زغلول النجار فيما يخصّ الأبحاث المتعلّقة بسطح القمر، حيث أُعلنَت هذه الدراسات عن وجود كُسُور وأودية أو منخفضات على سطح القمر، ومن ثم تمّ الاحتجاج أن هذه الأشياء لا يرجع سبب وجودها إلى اصطدام النيازك مع سطح القمر، كما أنها لا تعبّر عن تصدّعات نتجت من خلال الثوران الداخلي في باطن القمر، بل قدّم أحد التفسيرات المقترحة إلى أن هذه الكسور والأودية يمكن أن تكون نتاج عملية انفصال ثم إعادة التحام للقمر. إضافة لذلك تتمّ الإشارة إلى قمر ميراندا (Miranda)، وهو أحد أقمار كوكب أورانوس (Uranus)، حيث انشق هذه القمر بطريقة مشابهة في الماضي إلى عدّة أجزاء، ثم التحم مرّة أخرى بفعل الجاذبية. ويتمّ التدليل على هذا الكلام من خلال الإشارة إلى مجلة ناشيونال

(1) http://www.understand-islam.net/audio/Quraan%20.%20-%20.%203.%20Tafseer%20 %20Explanation%20of%20the%20Glorious%20Qur%27aan/Tafseer%20-%20Explanation%20Surah.54.%20Al-Qamar/01-Tafseer%20Soorat%20A-Qamar%201-8.mp3 (21. 10. 08).
(2) *http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm* (2. 12. 08).

جيوجرافيك (National Geographic) بنسختها الصادرة في شهر أغسطس لعام ١٩٨٦، حيث طبعت الصور الخاصّة برحلة مسبار فوياجر (Voyager-Mission) في هذا العدد من تلك المجلة[١]. وفي واقع الأمر فقد ناقش هذا الإصدار من المجلة تلك الفرضية[٢]، أمّا مثل هذا المبدأ القائم على الجزم بالقول بتجزئة قمر ميراندا قبل ملايين السنين فلم تأتِ الصحيفة على ذِكره.

أمّا النمط الثاني ممن يمثّلون التفسير التاريخي فيتمثّل في أولئك الذين لا يرفضون الحدوث التاريخي للأحداث في زمان محمد، لكنهم لا يعتبرون هذا الانشقاق من المعجزات الدالة على صِدْقه، إلا أنهم يتّبعون إلى حدّ كبير الأدلة التي قدّمها من يعتبرون أنّ انشقاق القمر حدثٌ تاريخي دالّ على صدق محمد، بل وينتهجون نفس نهجهم. ويظهر هذا من اعتماد أبي الأعلى المودودي بعض الشيء على القرآن والروايات النبوية، لكنه يستزيد على ذلك فيسوق الأدلة المفترضة من خارج الدائرة الإسلامية اعتمادًا على المصادر الهندية، ومن ثم يتعاطى مع الأدلة -كما ذكرنا سابقًا- التي تتعارض مع إثبات تاريخية انشقاق القمر[٣]. أمّا سيد قطب فيحتج على إثبات الأمر من خلال الروايات النبوية المتواترة من وجهة نظره[٤].

(1) http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AAbout_Islam/AskAboutIslamE/AskAboutIslamE&cid=1123996016540 (11. 10. 08).
(2) National Geographic 170 (August 1986), 178- 194, insbesondere 186f.
(3) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).
(٤) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٥، ٣٤٢٦.

لكن الوصول إلى هذا التأويل يستلزم معه تضعيف جزء من الروايات النبوية الواردة في المسألة، حيث تروي هذه الأحاديث أنّ انشقاق القمر جاء كردّ فعلٍ على طلب المكيين أنفسهم. وهذا ما فعله أبو الأعلى المودودي حرفيًّا، فقد احتج بأن بعض الروايات التي جاءت يشوبها الضعف، ومن بينها تلك المتعلقة بطلب المكيين لانشقاق القمر كدليل على صدق محمد. لذا استشهد أبو الأعلى المودودي بعض الشيء بما عند ابن حجر العسقلاني من محاجّات، حيث يرى المودودي أنّ ابن حجر بحث الروايات وتثبّت مِن صحتها، ثم خرج بنتيجة مفادها أنّ بعض الثقات الذين رووا الأحاديث لم يكونوا شهودًا عليها بأيّ حال من الأحوال[١]، لكن على خلاف ابن حجر الذي ذهب إلى صحة الروايات، اتخذ أبو الأعلى المودودي ذلك ذريعة لرفض تلك الروايات[٢].

ومع أنّ سيد قطب سلك طريقًا آخر للاستدلال، إلا أنه خرج بنتيجة مشابهة لأبي الأعلى المودودي، فالقول بانشقاق القمر عند سيد قطب على أنه معجزة دالة على صدق محمد تصطدم مع مفهوم نصّ قرآني مدلوله أن معجزة الرسول مقتصرة فقط على القرآن. كما يرى سيد قطب أنه في كلّ مناسبة طلب المشركون آية من الرسول كان الردّ يفيد أنّ هذا الأمر خارجٌ عن حدود وظيفته، وأنه ليس إلا بشرًا رسولًا، فالقول إذًا بأنّ انشقاق القمر كان استجابةً لطلب

(١) انظر: Schöller, Spaltung, 279f.

(2) http://www.quranenglish.com/tafheem_quran/054.htm (2. 12. 08).

المشركين آيةً -أي خارقة- يبدو بعيدًا عن مفهوم النصوص القرآنية. وبالتالي يرفض سيد قطب من خلال هذه المعالجة الروايات النبوية التي تجعل من انشقاق القمر آية جاءت كردّ فعل على طلب المكيين للأمر، غير أنه يتمسّك بالروايات الأخرى التي تحدّد مكان الحادث وزمانه وهيئته، ثم يصل إلى نتيجة مفادها أن انشقاق القمر آية كونية وأنها إكرامٌ من الله لمحمد، لا دليل لإثبات رسالته[١]. فالمعنى عند سيد قطب لا يكمن في تعليل الحدث، أي في انشقاق القمر نفسه، بل يكمن في الإشارة إلى قرب وقوع الساعة. ومع اعتبار أنّ انشقاق القمر آية كونية، فإنّ القمر في ذاته آية أكبر عند قطب[٢].

استكمالًا لهذا النمط التفسيري تدور فكرة محمد على أنه ربما كان الحدث يتعلّق بانخساف للقمر أو بهزة حدثت في باطن القمر، أو حتى ربما تعلّق الأمر بإحدى الظواهر غير المألوفة، وأن قوة الظاهرة لا تكمن في الهيئة غير الطبيعية لانشقاق القمر نفسه، بل تكمن في تنبُّؤ النبي بالأحداث[٣]. لكن الطبطبائي يقول بخلاف ذلك صراحة، فانشقاق القمر عنده يعبّر عن آية أنعم الله بها على عبده وليس دليلًا لإثبات رسالته[٤].

---

(١) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٦ وما بعدها.

(٢) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٦- ٣٤٢٨.

(3) ʿAlī, Bayān ul-Qurʾān, 3, 1785f. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 363f.; ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1022.

(٤) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦٨ وما يليها.

أمّا النمط الثالث من التفسير التاريخي الذي يمثّله محمد عليّ حسن الهلالي، فلا يقيم الهلالي فيه صِلَة بين انشقاق القمر وبين النبي محمد. ويُفهم عنده أن الفعل (انشق) في هذا السياق جاء بمعنى (انفصل) «أي انفصال القمر عن الأرض». وبلا شك بدا تفسير انشقاق القمر عند الهلالي مشوبًا بالمجازفة بعض الشيء: فالهلالي يرى أن الأجسام التي تكون خارج نطاق الجاذبية تنفصل بعضها عن بعض، حينئذ تنقسم الأجسام الكبيرة إلى عدّة أجزاء، أمّا الأجسام الصغيرة فتنقسم إلى جزأين، وبعد انخفاض درجة حرارة الأرض لن يكون لجاذبيتها تأثير على القمر، وبالتالي سينقسم إلى جزأين قبل أن يدخل في مجال جاذبية الشمس وسيؤدي ذلك بالنهاية إلى سقوطه بها[(١)]. وبطريقة مشابهة تظهر بعض التفسيرات (العلمية) الأخرى للهلالي، فعلى سبيل المثال يجعل الهلالي من حرارة الأجسام سببًا للجاذبية: فالأجسام الملتهبة تقوم بوظيفة الجاذبية، بينما تنجذب الأجسام الباردة نحو الأجسام الأكثر حرارة[(٢)].

وعليه يوضح الهلالي أن الله أنزل: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، حينما استهزأ المكيون بمحمد وطلبوا منه أن يشقّ القمر، وأنّ معنى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يدل على أن ساعة موت المكيين قد دنَت، حيث سيحاسبون على

(1) http://tgq.t35.com/4.htm#القمر_ينشق_نصفين _ (27. 10. 08).

(2) *http://tgq.t35.com/#* الجاذبية _(27. 10. 08).

عنادهم وسفاهاتهم، وأمّا قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ فيعني عند الهلالي أن القمر فيما مضى قد انفصل عن الأرض بالفعل، وأنه سينشق إلى فلقتين مرة أخرى قبل نهاية العالم(١). والحقيقة أن هذه الفرضية تمّت مناقشتها من قِبَل علماء الفضاء، فنشأة القمر من خلال انفصاله عن الأرض (سواء كان عن طريق الدوران السريع أو عن طريق التصادم بأحد الأجرام السماوية الأخرى)، هو طرح ممكن لنشأة نظام القمر والأرض، لكن مجيء (انْشَقَّ) بمعنى (انفصل) تبقى محلّ خلاف. أمّا السؤال المتبادر إلى الذهن: هل اطّلع الطبطبائي على كتاب الهلالي بما فيه حول انشقاق القمر، مع أن هذا يبقى غير مؤكد، إلا أن الاستدلال الموجود عند الهلالي يبدو على الأقل أنه معروف عند الطبطبائي، لأنه تعاطى مع ما ذكره الهلالي، حيث استدل بأن العلوم الطبيعية الحديثة (يستخدم الطبطبائي مصطلح الرياضيين) توصّلت بأنّ القمر في الأصل كان جزءًا من الأرض، وأن آية انشقاق القمر الواردة في القرآن تشتمل على معرفة علمية لم تكن معروفة وقت نزول الوحي القرآني. ولأن هذا لا يتناسب مع الآية الثانية من السورة كما يرى الطبطبائي وجب الحديث إذًا عن (اشتقاق) القمر وليس عن (انشقاق) القمر، كما هو واضح من الآية المذكورة في السورة(٢).

(1) http://tgq.t35.com/4.htm#القمر_ينشق_نصفين _ (27. 10. 08).

(٢) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦١.

ومع أن التفسير الأسكاتولوجي للآية يلعب دورًا مهمًّا في التفسير المعاصر أكثر منه في التفسير التراثي، إلا أنّ ممثلي هذا النمط التفسيري أكثر ندرة من أولئك الذين يمثّلون التفسير التاريخي. وكما هو الحال في التفسير التاريخي لجأ ممثّلوا التفسير الإسكاتولوجي أيضًا للحجج التي نُوقشت في التفسير التراثي، وعلى نفس الخطى ومن خلال مزيد من التمعّن قام ممثّلوا التفسير الإسكاتولوجي باستكمال الحجج التي وردت في التفسير التراثي أو الاستزادة عليها.

وكما هو سابق الذِّكْر ومعروف من ناحية الاستدلال في التفسير التراثي، فإن الماضي في قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ يمكن أن يدلّ أيضًا على المستقبل، وكثيرًا ما يستخدم هذا في آيات القرآن، حيث يمكن بكلّ وضوح أن يشير التعبير بالماضي في هذه الآيات على الأحداث المستقبلية حصرًا[١]. وقد استدلّ أحمد مصطفى المراغي[٢] وسليمان أتيس[٣] على هذا النحو إلى حدّ ما، لكنهما لم يغفلَا لتأكيد هذا المعنى إلى الإشارة إلى قواعد النحو والآيات القرآنية الدالة على المستقبل بالرغم من ورودها في صورة الماضي. لكن من بين المفسِّرين المعنيّين بالبحث هنا لم يتعاطَ أحدٌ باستفاضة مع لفظة ﴿مُّسۡتَمِرّٞ﴾ الواردة في

(1) Schöller, Spaltung, 43f.

(٢) المراغي، تفسير المراغي، المجلد السابع والعشرون، ص٧٥ وما يليها.

(3) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 150f.

الآية الثانية من سورة القمر سوى أتيس. وطبقًا لرأي أتيس فإنّ لفظة ﴿مُّسۡتَمِرٌّ﴾ تعني: (دائم) أو (قوي) أو (دائم مطرد)، ومن ثم وَفقًا لرأي أتيس يمكن أن لا يدلّ ذلك على انشقاق القمر؛ لأن الانشقاق كان مؤقتًا ولم يكن على الدوام[1].

وهذه المعاني معروفة أيضًا من قبل في التفسير التراثي، رغم أن لفظة ﴿مُّسۡتَمِرٌّ﴾ تُستخدم في الشعر العربي التراثي بمعنى (قوي) أو (مارّ ذاهب زائل عمّا قريب). لذا يتعاطى أتيس مع الآية الثانية من سورة القمر بشكل عامّ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ (أي زائل عمّا قريب)، ويوضح أن الذين جنحوا للتفسير التاريخي جعلوا من لفظ (آيَة) الواردة في قوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ دلالة على معجزة انشقاق القمر، لكنه على خلاف ذلك لا يجعل من الآية دالة على حدث وقع في الماضي، بل يجعل منها دلالة واضحة على عناد الكافرين وتسلّطهم، وأن المشركين لم يكونوا ليؤمنوا في يوم من الأيام بمثل هذا الحدث ولو كان القمر بين أيديهم وانفلق إلى فلقتين، ومن ثم يقتبس أتيس من القرآن ما يستدلّ به على تأكيد هذا المعنى، كقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]. فهذه الآية من وجهة نظر أتيس تجعل الأمر غير مجدٍ مع أولئك المعاندين الذين طبع الله على قلوبهم

(1) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 154.

حتى يكون انشقاق القمر دلالة على صدق محمد. كما أن التفسير التاريخي لآية انشقاق القمر يتعارض من وجهة نظر أتيس مع الآيات القرآنية الأخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٤][1]. وأخيرًا يحاول أتيس من خلال الآيات الأخرى للقرآن أن يثبت أنّ الآية في قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ لا علاقة لها بالمعجزة الخارقة للعادة، بل تقع دلالتها من خلال علاقتها بآيات أخرى من القرآن[2].

أيضًا يقيم التفسير الإسكاتولوجي العلاقة بين شقّي الآية الأولى من سورة القمر، أي العلاقة بين دنوّ الساعة وانشقاق القمر –وهي ذات العلاقة التي أقامها

(1) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 153ff.
(2) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 156. Er führt dazu die Verse 5: 110, 10: 76, 11: 7, 27: 13, 34: 43 und 61: 6 an.

التفسير التراثي من قبل- ومن أمثلة ذلك أحمد مصطفى المراغي[١]. و قد ساق أحد المقالات على مواقع الإنترنت ذلك بشيء من التوسّع، ثم أشار إلى العلاقة بين قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾ [القمر: ٣]، وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، للتأكيد على هذا المعنى، والتي تلمح بداية على أنّ حادث انشقاق القمر متعلق بزمان محدّد واجب الوقوع في المستقبل[٢]، وتتسم ترجمات القرآن المستخدمة على هذا الموقع بالسهولة.

وكما هو متوقّع فإن الحجج التي تبني موقفًا مضادًّا للتفسير التاريخي، والتي ذكرناها من قبل، تستخدم أيضًا لتأييد موقف التفسير الإسكاتولوجي، خاصة تلك الحجة التي تفترض أنه لو حدَثَ انشقاق القمر لرآه من الناس وجوبًا من لا يُحصى كثرة في شتى بقاع الأرض.

وبشكل محدود فقط بحث ممثلو التفسير الإسكاتولوجي وغيرهم ممن لا يمثلون التفسيرات التاريخية في الروايات النبوية التي تُوعز بالتفسير التاريخي؛ لذلك ذكر المراغي الكثيرَ من الروايات حول انشقاق القمر، لكنه تعاطى عن قرب مع واحدة منها فقط، وهي التي لا تعطي معنى التفسير التاريخي، بل تدلّ

(١) المراغي، تفسير المراغي، المجلد السابع والعشرون، ص٧٧.

(2) http://www.mostmerciful.com/moon.htm (12. 10. 08).

وَفقًا للمراغي على أن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، وأنه ما ادعى أحد من المسلمين إلا مَن شذّ أن هذه معجزة بلغَت حد التواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادًا، بل كانوا لا يُعَدّون كثرة[١].

أمّا أسد فيذكر الروايات أيضًا، ومع أنه لا يشكّك في صحتها إلا أنه يحتج بها ليفترض أن الصحابة ربما رأوا خسوفًا غير اعتيادي للقمر[٢].

أمّا سليمان أتيس فيتعاطى مع الروايات بشكل مفصل، إلا أنه يحاول أن يثبت من خلالها أن مَن روى من الصحابة حول انشقاق القمر يمكن ألا يكون فيهم شاهد عيان على الواقعة سوى واحد فقط، ومن ثم يعتبر أتيس هذا محلًّا للتساؤل، هل فعلًا حكى هذا الآحاد من الصحابة ما رُوي عنه[٣]. وكما ذكرنا من قبل فإن هذا القول يشير إلى أنّ الرجال الثقات الذين نقلوا الأحداث حول انشقاق القمر لم يكونوا في الغالب شهود عيان على الواقعة راجع إلى ابن حجر العسقلاني[٤]، لكن أتيس لا يذكر هذه المصادر في إيضاحاته لهذه النقطة. وكما فعل أبو الأعلى المودودي يتتبع سليمان أتيس هذه الحجة التي قدمها ابن حجر، لكن في بعض جزئياتها فقط ومن ثم يتّخذها ذريعة لرفض أغلب الروايات المتعلّقة بانشقاق القمر، وهذا ما لم يقصده ابن حجر بالطبع.

---

(١) المراغي، تفسير المراغي، المجلد السابع والعشرون، ص٧٧.

(2) Asad, The Message of the Qurʾān, 818.

(3) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 151f.

(٤) قارن: Schöller, Spaltung, 279f.

كذلك ساق ممثّلوا التفسير الإسكاتولوجي مزيدًا من الأدلة لم أجد لها على حسَب ظني موطئ ذكر في التفسير التراثي، منها أن أتيس يؤكّد مرارًا وتكرارًا أن القرآن ذَكَر في مواضع أخرى أنّ النبي محمدًا لم يأتِ بمعجزة سوى القرآن، ولهذا يقتبس من المواضع المختلفة من القرآن ما يدلّ على هذا، كذكره لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٤][1]، أمّا رشاد خليفة فيسير على نفس الخُطَى، لكنه يستدلّ بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]، وقوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ

(1) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 153ff.

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥][1]، كذلك استدلّ قطب بمثل هذه الآيات لإثبات أنّ انشقاق القمر ليست معجزة دالة على ثبوت رسالة محمد، إلا أنه مع ذلك تمسك بالتفسير التاريخي للآية كما ذكرنا من قبل. كما لا تخرج المقالات على الإنترنت عن هذه الاستدلالات، لكنها تشير إلى حدّ ما إلى مواطن أخرى من القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ﴾ [الرعد: ٧][2].

ولا يقتصر الاستدلال على ما تحويه آيات القرآن هذه، بل يتعدى ذلك ليشمل الترتيب الزمني لنزول الوحي؛ لذا يشير رشاد خليفة إلى أن السور التي سأل فيها المشركون محمدًا أن يأتي لهم بمعجزة قد نزلت بعد سورة القمر[3]، كما يوجد ما يشبه هذه الحُجّة على صفحات الإنترنت[4].

(1) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).
(2) http://www.mostmerciful.com/moon.htm (12. 10. 08).
(3) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).
(4) http://think-islam.blogspot.com/2007/11/moon-split-miracle.html (9. 10. 08).

كذلك تعاطى سليمان أتيس مع التسلسل الزمني لنزول الوحي، لكن من خلال استدلال ظاهري خارج عن المألوف بعض الشيء: وهو أن السورة التي نزلت بعد سورة القمر هي سورة ص، فلو حدث انشقاق القمر فعلًا، لوجب ورود الأحداث في السور التي نزلت بعد ذلك طبقًا للعامل الزمني، وهذا ما جرى مع أحداثٍ كالإسراء وغزوة بدر أو غزوة الخندق، حيث ارتبط ذِكْر هذه الأحداث بأكثر من سورة نزلتْ بعد تلك الأحداث[١]. لكن لماذا لا ينبغي أن تكون سورة القمر هي تلك السورة التي تحدّثت عن انشقاق القمر ونزلت بعد حدوثه، لم يوضح سليمان أتيس هذه النقطة.

استدلال آخر لصالح التفسير الإسكاتولوجي من قبل سليمان أتيس ويعتمد أيضًا على القرآن: فالمعجزات الحسّية الدالة على صدق الأنبياء كانت نذيرًا للكافرين من أقوامهم، كما أنها ارتبطت بهلاكهم حال تكذيبهم لأنبيائهم وعدم اتّباعهم لهم. وفي حالة محمد فإنّ الله لم يَرِد مثل هذا الهلاك للكافرين من قومه؛ لذا يذهب أتيس أنه لو فهم أحدهم أن انشقاق القمر معجزة دالة على ثبوت نبوّة محمد وأن المشركين وصفوها بالسحر، للزِم من ذلك هلاكهم، ولأنّ هذا لم يحدث وجب فهمُ الآية بشكل آخر[٢]. وقد تعاطى الطبطبائي من قبل مع هذه الجزئية عن طريق الاستدلال المقارن، حتى يتسنّى له تفنيد الأمر

(1) Ateş, *Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri*, 9, 154.
(2) Ateş, Yüce Kur'ânın Çağdaş Tefsîri, 9, 155.

بشكل تنظيمي، ولو كانت حُجّته موجّهة بشكلٍ واضح ضد التفسير الإسكاتولوجي، إلا أنه قدّمها في شكل رسم بياني مختصر. فقد عالج الطبطبائي بعض الآيات القرآنية التي استُخدمت من قِبَل بعضهم لبناء موقف ضد التفسير التاريخي، وبناء عليه فهم الطبطبائي من قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، أنّ الله لم يمنح نبيَّه معجزات لأن مصيرها التكذيب على كلّ حال، وأن الغاية الوحيدة من المعجزات تكمن في التخويف والزجر، وأن التكذيب بهذه المعجزات سيقود حتمًا إلى الهلاك مباشرة. لكن الطبطبائي يوضح أن هذا لا ينطبق في هذا السياق على سائر المعجزات، لا سيما مثل هذه المعجزة التي طلبها المشركون، لأنّ محمدًا كما يقول الطبطبائي ليس كسائر الأنبياء؛ لأنه لم يُبعث لقومه خاصّة، بل بُعث للناس عامة، ولو صحّ هذا للزم من ذلك هلاك جميع البشر. إضافة إلى ذلك يرى الطبطبائي أنه كان هناك في مكة مَن آمن بالنبيّ وقت حدوث المعجزة، وهذا يعني هلاكهم أيضًا، مما يعني وقوع الظُّلم عليهم. فضلًا عن ذلك فقد اعتنق كثيرٌ من المشركين واحدًا تلو الآخر الإسلامَ، وأن قسمًا كبيرًا من المشركين لم يكونوا على اقتناع بكفرهم، بل كانوا ضحية لغواية أسيادهم لهم. كما أن هؤلاء الأسياد المكابرين في كفرهم لم ينجوا من العقاب، فقد أهلكهم اللهُ في غزوة بدر؛ لذا أمضى الله وعده بالهلاك

لأولئك الذين أنكروا معجزة انشقاق القمر، وكان في غزوة بدر، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿...فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥][١].

أمّا النمط الثاني من التفسير الإسكاتولوجي والذي يرى في الآية نبوءة على الهبوط على سطح القمر كهارون يحيى، فيعتمد هذا التفسير ابتداءً على حجّتين: أمّا الحجة الأولى فتقوم على التفسير الجديد للفعل (انشقّ)، حيث جاء الفعل (انشقّ) بمعنى: (حفر) أو (حرث)، وقد حدث ذلك من قِبَل رواد الفضاء الذين صعدوا على القمر[٢]. أو أن (انشقاق) القمر يُفهم منه أنه حدث من خلال إحضار رواد الفضاء لـ٢١ كيلو جرامًا من أحجار القمر كما يقول رشاد خليفة[٣].

أمّا الحجة الثانية فتكمن في أن القرآن أشار من خلال عملية الترميز الكامنة فيه أو في سورة القمر إلى كلّ المعطيات المهمّة المرتبطة بالهبوط على سطح القمر (أو انطلاق المركبة الفضائية المحمّلة بالصخور)، وهذا ما ذهب إليه

---

(١) الطبطبائي، المجلد التاسع عشر، ص٦٧- ٧١.

(2) http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_02.html (12. 10. 08).
(3) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).

بطريقة مشابهة يوجد هذا في الصحيفة الخاصة:

International Community of Submitters/Masjid Tucson vom Mai 2005: http://www.masjidtucson.org/publications/books/sp/2005/may/page3.html (12. 10. 08).

كذلك على الصفحات الأخرى الخاصة ب جاء شرح الهبوط على القمر متعلقًا بالآية الأولى من سورة القمر، انظر: http://www.usn2161.net/moonsplit.html (12. 10. 08).

رشاد خليفة، أو أنه على الأقل تم تحديد العام الذي حدث فيه الهبوط على سطح القمر من خلال جزء من حروف الآية الأولى في سورة القمر، وهذا ما قاله هارون يحيى. وبالنسبة لرشاد خليفة أو أتباعه فإن الرقم ١٩ يلعب دورًا مهمًّا في تفسير سورة القمر: حيث جاء لفظ القمر في السورة في الترتيب التاسع عشر من بين سور القرآن الكريم، كما أن معطيات الهبوط على القمر وتاريخ الانطلاق إذا ما قُرئت بترتيبها الصحيح فإنها تعطي مضاعفات الرقم ١٩، كما أن عدد آيات القرآن بداية من سورة الفاتحة حتى سورة القمر تعطي أيضًا مضاعفات الرقم ١٩. إضافة إلى ذلك فإن مركبة الفضاء غادرت سطح القمر في تمام الساعة ١٧: ٥٤. ٠١، وقد اشتملت سورة القمر على الترميز الخاصّ بهذا التوقيت بكلّ دقة[١]. على عكس ذلك يذهب هارون يحيى بأنّ الأحرف في السورة تشير إلى عام ١٩٦٩، فلو تم إهمال الكلمة الأولى من الآية، لنتج من خلال الأحرف الموجودة في جملة: ﴿ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ الرقم ١٣٩٠، وهو ذاته التاريخ الهجري الذي يتوافق مع عام ١٩٦٩، وهو التاريخ الميلادي

(1) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).
على بعض الصفحات الأخرى جاء انشقاق القمر بوصفة العلامة الأولى من ضمن العلامات الست لنهاية العالم، وطبقًا للحسابات الرياضية للعلامات الأخرى فإن نهاية العالم ستكون في عام ١٧٠٠ بعد الهجرة، أي في عام ٢٢٨٠ بعد الميلاد، انظر:
http://www.submission.org/quran/app25.html (12. 10. 08).

لهبوط أول مركبة على سطح القمر[١]. وبغضّ النظر عن السؤال البديهي الذي يمكن طرحه في هذا السياق، لماذا لم يتم وضع الكلمة الأولى من الآية الأولى في الحسبان! كما أن عام ١٣٩٠ بالتقويم الهجري لا يتوافق مع عام ١٩٦٩ بالتقويم الميلادي، حيث إن تاريخ هذا العام الهجري يتوافق مع العام الميلادي الذي يبدأ من ٩ مارس ١٩٧٠ وينتهي في ٢٧ فبراير ١٩٧١، إذا ما أضفنا لذلك أن التفسير الجديد للفعل (انشق) واشتمال القرآن على ترميز المعطيات ما زال محلّ تساؤل دائم من قِبَل المسلمين[٢].

(1) http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_02.html (12. 10. 08).
شروحات مشابهة لسورة القمر تشير إلى نزول عيسى وقُرب الساعة توجد على مواقع كثيرة، الهدف منها العمل على أفكار هارون يحيى، على سبيل المثال:

//www.jesuswillreturn.com/signs/signs001.html,
http://www.harunyahya.com/signs03.php oder http://www.endoftimes.net/02signsofdoomsday08.html (11. 10. 08).

(٢) على سبيل المثال:

http://www.topix.com/forum/religion/islam/TTLF3QE749TLU96E7,
http://www. topix.com/forum/religion/islam/TTLF3QE749TLU96E7/p2 (20. 10. 08).
يأتي في المقدمة الأولى من ضمن الصفحات التي تعارض تفسير (انشق) بمعنى (حفر) أو (حرث) الصفحة الآتية:

http://www. islam-is-the-only-solution.com/splitting.htm (20. 10. 08).
وطبقًا لما هو موجود على الصفحة فلا علاقة بين الهبوط على سطح القمر وبين الآية الأولى من سورة القمر، لكن المدوّن على الصفحة يرى قبل ذلك أن هناك نبوءة في الكتاب المقدس تحدّثت عن الهبوط على سطح القمر بواسطة محمد، وهذا موجود في (سفر إشعياء: ٢٤: ٢٣)، حيث تقول الآية: «وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ؛ لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورشَلِيمَ، وَقُدَّامَ شُيُوخِهِ مَجْدٌ».

يتعاطى رشاد خليفة أيضًا مع الآية الثانية من السورة: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، والتي ينبغي أن تُفهم عنده طبقًا للتفسير الإسكاتولوجي بشكل مغاير لما هو موجود في التفسير التاريخي. في واقع الأمر يترجم خليفة الآية كما يأتي: " *Then they saw a great miracle; but they turned away and said, 'Old magic'*"، «وإن يرو آية يعرضوا ويقولوا سحر قديم»، فالإعجاز هنا طبقًا لرأي رشاد خليفة لا يتعلّق بانشقاق القمر، بل بالرقم ١٩ في القرآن. ولأنه يرى أن التراثيين رفضوا هذا بعدما اتضح لهم أن الاعتراف بالمعجزة الكامنة في الرقم ١٩ لا بد أن يصاحبه رفض للروايات، وأنهم برفضهم للإعجاز الرياضي للقرآن وتمسّكهم بالحديث والسنّة لا يختلفون عن عبّاد الأوثان من المشركين، وأن الله سيعاقبهم كما عاقب الكافرين من قبلهم حينما كذّبوا رسلهم الأوائل. ليس هذا فحَسْب، بل ينبغي الابتعاد عن هؤلاء التراثيين وأن لا تقام الصلاة معهم، لهذا يعتبر رشاد خليفة بشكل صريح أن الروايات حول انشقاق القمر ضربًا من اللغو[١].

أمّا التفسير الرمزي وفيه يأتي لفظ القمر ويُراد به العرب، فإنه نادرًا ما يسوق هذا النوع من التفسير أدلته الجدلية، وغالبًا ما يقتصر الادعاء فيه على أن القمر يشير إلى العرب، أو أن القمر كان مرسومًا على لواء قريش لغرض الزينة، لكنه

(1) http://www.submission.org/miracle/moon.html (12. 10. 08).

يبقى كلامًا مرسلًا لم يستند فيه أحد إلى دليل، وقد ذهب لهذا الرأي بشير الدين محمود[١] وغلام أحمد برويز[٢] وشبير أحمد[٣]. لكن محمد عليّ نقل رواية جاء بها لغرض الاستدلال من أن السيدة صفية التي أصبحت فيما بعد زوجة لمحمد، رأت في منامها وكأنّ القمر وقع في حِجرها، وقد تمّ تأويل ذلك بأنها ستتزوج ملك العرب[٤]. بناء على هذه الرواية يجعل محمد عليّ من القمر رمزًا للعرب بشكل صريح. في واقع الأمر ذكر ابن سعد هذه الرواية على بعض هذا النحو، أي عن رؤية صفية[٥]، وقد تأوّلها لها زوجها اليهودي لما قصّتها عليه، فلطم وجهها، فقال: «تمنّين مَلِكَ يثرب»[٦]، ولا يبدو واضحًا في سياقنا هذا، هل تغافل محمد على أن هذه الرؤية التي رأتها السيدة صفية تشير إلى محمد، أو أنه يرى أن محمدًا من الممكن اعتباره ملكًا للعرب دون شك. على كلّ حال فإن هذا التفسير يعتمد بالتأكيد على خلط في الفهم[٧]، لكنه مع ذلك منتشر إلى حد بعيد في دوائر الأحمدية، ويمكن أن يكون سبب هذا هو تأثير ترجمة القرآن لدى الأحمدية. لكن الجدير بالذِّكْر أن هذا التفسير منتشر أيضًا لدى بعض

(1) Bašīruddīn Maḥmūd, Tafsīr-i Saġīr, 16. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 362.
(2) http://www.tolueislam.com/Parwez/expo/expo_054.htm (2. 12. 08); Vgl. Siddiqi, Modern Trends, 362.
(3) Ahmed, The Qurʾan As It Explains Itself, 603f.
(4) ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1022.
(5) Ibn Saʿd, Kitāb al-Ṭabaqāt al-kabīr, ed. Eduard Sachau et al., 9 Bände, Leiden 1904-1928, Bd. 8, 86.
(6) Vgl. Barbara Stowasser, „The Mothers of the Believers in the Ḥadīth“, The Muslim World 82 (1992), 1- 36, 17f.
(٧) يتبادر إلى الذهن أن محمد عليّ ربما فهم الدليل من مصدره بشكل غير صحيح.

الأشخاص الذين يبدو أنهم لا ارتباط لهم بالأحمدية مثل شبير أحمد، أو منتشر حتى لدى أولئك الذين ينتمون لخصوم الأحمدية البارزين.

ولا يبدو التوفيق بين الروايات النبوية عن انشقاق القمر وبين التفسير الرمزي للمسألة أمرًا مقبولًا، عدا محمد عليّ من خلال الطرح المشوب بالتضارب الذي قدّمه[١]، لأنّ ممثلي التفسير الرمزي الآخرين لا يتعاطون مطلقًا مع الروايات النبوية المتعلقة بانشقاق القمر، كغلام أحمد برويز على سبيل المثال[٢] الذي يرفض الروايات في المجمل[٣]، أمّا بشير الدين فيرفضها صراحة، ومن ثم يعطي ملاحظته أنه لا يوجد شهود عيان على حادثة انشقاق القمر[٤]. أمّا شبير أحمد فيقول بتدليس الروايات وأنها تخالف القرآن، كما أنها تخالف العقل أيضًا، والدليل على تدليس الروايات كما يقول شبير أحمد، بأنه لم يُرْوَ عن أحدٍ بأن المعجزة كانت دافعًا لأحدهم لاعتناق الإسلام، وذلك بالنظر إلى مهابتها[٥].

---

(١) يمثّل محمد عليّ كما رأينا من قبل التفسير التراثي التاريخي، لأجل هذا يسوق محمد عليّ الأدلة من الروايات النبوية إلى جانب القرآن، كما أنه يصف الروايات بالتواتر ويدافع عنها ضدّ الادعاءات المختلفة، لكن يوجد ما يدعو للتفكير أن محمد عليّ تعامل مع الأمر على أساس أنه خسوف للقمر أو أنه أمر غير اعتيادي بما حدث في باطن القمر، (وهذا موقف رفضه محمد عليّ في السطور التي سبقت ذكره لهذا الكلام)، ثم جاء في الأخير بالتفسير الرمزي، انظر: ʿAlī, The Holy Qur-ān, 1021f.

(2) http://www.tolueislam.com/Parwez/expo/expo_054.htm (2.12.08); Vgl. Siddiqi, Modern Trends, 362.

(3) McDonnough, „The Social Import“, 83.

(4) Bašīruddīn Maḥmūd, Tafsīr-i Saġīr, 16. Zitiert nach Siddiqi, Modern Trends, 362.

(5) Ahmed, The Qurʾan As It Explains Itself, 603f.

كما أنّ بعض المفسِّرين ربطوا بين التفسير التاريخي وبين أحد استشهادات التفسير الإسكاتولوجي، وبناء عليه يكون انشقاق القمر حدثًا قد وقع بالفعل في زمن محمد، لكنه في الوقت نفسه دالّ على قرب قيام الساعة، ومثل هذا الرأي موجود بالفعل في التفسير التراثي لكن ليس على نطاق واسع[١]. ومن بين المعاصرين الذين ربطوا إلى حدّ ما بين التفسير التاريخي وقرب قيام الساعة عليّ منصور كيالي[٢] وسيد قطب[٣]، كما يمكن ملاحظة هذا الارتباط بين الحين والآخر على صفحات الإنترنت[٤]. ولأنّ هارون يحيى يمثّل التفسير الغيبي المتعلق بالهبوط على سطح القمر، فهو يريد أن يستبعد التفسير التاريخي بشكل كامل؛ لذا يذهب هارون يحيى أنه لو دلّت الآية على انشقاق القمر في زمن النبي محمد كما دلّت على ذلك الروايات، فما الذي يمنع أن تدلّ أيضًا على الهبوط على سطح القمر، لا سيما أن القرآن كُتب لكلّ الأزمنة وليس لزمان واحد[٥]. وختامًا حاول يوسف عليّ التوفيق بين الآراء الثلاثة الواردة في التفسير التراثي، حيث يمكن لهذا الآراء أن تتقابل نوعًا ما؛ حيث جاء في تفسيره: من أنّ القمر قد بدا للنبي وصحابته والمشركين منقسمًا

(1) Schöller, Spaltung, 47.
(2) http://www.salaam.co.uk/download/index2.php?cat_name=Tafsir (24. 10. 08).
(٣) سيد قطب، الظلال، المجلد السادس، ص٣٤٢٧ وما بعدها.
(4)http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-AAbout_ Islam/AskAboutIslamE/AskAboutIslamE&cid=1123996016540 (11. 10. 08).
(5) http://www.miraclesofthequran.com/mathematical_02.html (12. 10. 08).

إلى فلقتين، وأن صيغة الماضي التي وردَ بها الفعل يمكن أن تدل على حدثٍ مستقبلي، وأن انشقاق القمر ينبغي أن يُفهم على أنه علامة على دنوّ الساعة، وأن الجملة يمكن أن تُفهم على المجاز، وتعني أن الساعة قد أوشكت على الوقوع كطلوع البدر في الليلة الظلماء[١].

(1) Yusuf Ali, The Holy Qurʾān, 3, 1454.

خاتمة:

لقد ثبت بوضوح أن التفسيرات المختلفة المعاصرة والخاصة بالآية الأُولى من سورة القمر أكثر ثراءً مما وجدناه في التفسير ما قبل الحديث؛ فبجانب التفسيرات التراثية الثلاثة المتعلّقة بانشقاق القمر أضاف التفسيرُ المعاصر تفسيرَيْن آخرَيْن متعلقَيْن بالتفسير التاريخي للآية، كما قدّم بديلًا آخر متعلقًا بالتفسير الإسكاتولوجي، كما أضاف تفسيرًا جديدًا بالكلية من حيث المضمون والشكل من خلال التفسير الرمزي، كما وفّق التفسير المعاصر بين أكثر من تفسير من خلال دمجها في تفسير واحد. وهذا يثبت أن حقل التفسير -وكما هو معروف من قبل- اختصاص خصيب لا يتوقف عن العطاء.

وبينما قام التفسير التراثي بذِكْر المواقف المتباينة بجانب بعضها بعضًا دون أن يرجح منها بشكل صريح (حتى لو كانت الأولوية في كثير من الأحيان تميل بشكل واضح نحو وجهة نظر معينة)، فإنّ معظم التفسيرات المعاصرة تتجه نحو إثبات تفسير واحد، كما أن هناك محاولات ولو بشكلٍ جزئي للتوفيق بين التفسيرات المتعدّدة. ولا أعرف حالة واحدة في التفسير المعاصر ذُكرت فيها التفسيرات بجانب بعضها بعضًا دون ترجيح لأحدها، بل إنّه في كثير من الحالات لا يذكر المفسِّر ولا يناقش ولو مرّة واحدة التفسيرات البديلة، لكنه يناقش في بعض الحالات التفسيرات المتعدّدة في إطار رفضه للتفسير التاريخي في المقام الأول، مما يعني أيضًا أن الاعتراض على التفسير المعتمد في التراث المتعلّق بعلوم القرآن عادة ما يحدث.

كذلك فإنّ التأييد الجدلي لكلّ موقف على حِدَة في التفسير المعاصر يعتمد كما هو متوقّع على المحاجّات التي وردَتْ في التفسير التراثي، لكن يمكن أن يُقال أنّ جزءًا صغيرًا فقط من تلك المحاجّات التي وردَت في التفسير التراثي سابقًا، لم يرِد ذكرها في التفسير المعاصر. بالرغم من ذلك فإن تلك الاستشهادات الواردة بالأساس في التفسير التراثي جرى تعديلها بعض الشيء أحيانًا، وقد رأينا هذا في التعامل مع ما أورده ابن حجر العسقلاني من أقوال حول الروايات التي استخدمها كلّ من أتيس وأبي الأعلى المودودي، حيث تم الاستغناء عن جزء من الروايات؛ لأنها لم ترِد عن شهود عيان على الأحداث، وقد ترتب على ذلك عدم صحتها، وهذه نتيجة لم تكن لتخطر على بال ابن حجر. وبين حين آخر تظهر أيضًا المصادر التي لم يتمّ فهمها بشكل جيد، وقد بدا ذلك واضحًا على سبيل المثال من التفسيرات التي قدّمها محمد عليّ.

بالإضافة إلى ما لدى التفسير المعاصر من أدلة وردَت سابقًا في التفسير ما قبل الحديث، فإنّ التفسير المعاصر ساق أدلة إضافية لم يتمّ ذكرها في التفسير ما قبل الحديث، ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلاثة تقسيمات؛ **أولًا**: ما أوجد معنًى جديدًا للّفظ القرآني لم يكن موجودًا من قبل، كمجيء لفظ (انشق) في الآية الأُولى من سورة القمر بمعنى: (حفر) أو (حرث) أو (انفصل)، وغالبًا لم يقدِّم هذا التفسيرُ البراهينَ الدالة على صحته.

ثانيًا: أورد بعضهم مزيدًا من البراهين الوهمية فيما يتعلّق بالتفسير التاريخي لإثبات انشقاق القمر، إمّا تاريخيًّا عن طريق الشهود المزعومين من خارج الدائرة الإسلامية، أو إمّا من خلال الدلائل العلمية المغلوطة؛ كالصور الملتقطة للقمر أو من خلال النظريات الفلكية الفيزيائية أو من خلال أقوال العلماء. كما أن الاحتجاج بهذه الأدلة أمر مستغرَب لأنه مصبوغ بجهل مركّب عن خواص الأجسام كما هو واضح من النظريات والمقولات العلمية، كما أن المصداقية المتعلقة بالمراجع لا يتمّ فحصها بدقّة على وجه العموم.

أمّا **الأمر الثالث**: فيكمن في الاحتجاج بمواضع القرآن بشكل مضطرد، ويتجه المفسِّرون المعاصرون إلى تقليد التفسير التراثي تمامًا في هذا الصدد، لكنهم أتوا برؤى جديدة بعض الشيء. لذا يحاول كثير من المفسِّرين المعاصرين أن يثبت أن التفسير التاريخي للآية بأنّ انشقاق القمر معجزة على صِدق محمد يتعارض مع آيات القرآن الأخرى. كذلك لا يمكن إغفال الدور الذي يمكن أن يلعبه ترتيب (كرُونُولُوجيَا/ Chronologie) نزول الآيات في ذات الصدد. على الجانب الآخر يستدلّ بعضهم بالفقرة الأُولى من سورة القمر (من الآية الأولى إلى الآية الثامنة)، ويجعلها منطلقًا للنظر في كامل السورة، ومن ثم يجعل من هذه الفقرة مقياسًا للوصول للتفسير التاريخي لباقي المواضيع في السورة، وبلا شك فإنّ الاحتجاج من خلال تفسير القرآن بالقرآن في هذه النقطة يعبّر بشكل جزئي عن تفكير مبتكر وواضح.

كذلك تبدو طريقة التفسير شائعة في كلّ التفسيرات الاعتيادية، وبناء عليه تم الاعتماد بكثرة على المعلومات التي وردت في الأعمال التراثية لمادة علوم القرآن، لكن هذه المعلومات ليست بالمستنبطة بشكل مباشر من القرآن أو من الأحاديث النبوية. على سبيل المثال ظهر تحديد تاريخ الأحداث لأول مرة (العام الخامس قبل الهجرة) في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وتم اعتماده على هذا النحو[١] دون ذكر المصادر العلمية، ويمكن القول أنّ مثل هذه المعطيات موجودة أيضًا على صفحات الإنترنت وإن كانت نادرة بعض الشيء.

كذلك تلعب الروايات النبوية في التفسير المعاصر دورًا مهمًّا في تفسير الآية الأولى من سورة القمر، أمّا أن يزعم أحدهم بشدّة أن شعار التفسير الحديث يكمن في التركيز على السياق القرآني نفسه مع استبعاد الأدوات من خارج المصدر القرآني، فهذا على الأقلّ أمر لا يمكن تأكيده على العموم في هذه الحالة. ومما لا شكّ فيه أن التعاطي مع الروايات النبوية من قبل التفسير المعاصر يبقى أمرًا يشوبه التباين الشديد، فالروايات النبوية بطبيعة الحال تأتي في المقام الأول لدى ممثّلي التفسير التاريخي، أمّا المفسِّرون الرافضون للتفسير التاريخي فيتعاطون مع الروايات النبوية بشكلٍ غير واضح المعالم. ومن بين

(1) Schöller, Spaltung, 255, Anm. 248.

المؤيّدين للتفسير التاريخي الدال على إثبات رسالة محمد من خلال معجزة انشقاق القمر يأتي على وجه الخصوص أصحاب التوجه السلفي؛ أمثال أبي بكر الجزائري، وصالح الصالح. ومع أنهم لا يستشهدون بالروايات، إلا أن توصيفهم لأحداث انشقاق القمر يعتمد على الأدوات الموجودة في الرواية، مع ذلك يخلطون في وصفهم للأحداث بين المعلومات الموجودة في الروايات المختلفة.

ويمكن القول أنّ التعسفية طغت على تعاطي معظم المؤلِّفين مع الأحاديث النبوية، فبالنسبة لممثّلي التفسير التاريخي يظهر التساؤل الآتي: أيّ الروايات يمكن وصفها بالصحة، لا سيما أنّ تفسيرًا واحدًا فقط يمكن أن يؤخذ في عين الاعتبار، وقد صحّح أبو الأعلى المودودي وسيد قطب بعض الروايات طالما أنها لم تتعارض مع تفسيراتهم. أمّا الأحاديث التي تتعارض مع التفسير يتمّ استبعادها ولو كانت في صحيح البخاري وصحيح مسلم، مما يعني لزوم ثبوتها وصحتها. وقد اعتمد أبو الأعلى المودودي بجانب البخاري ومسلم على الروايات الموجودة في كتب الحديث الأقلّ صحة. وعلى أيّة حال فإن المفسِّرين الذين مثّلوا التفسير التاريخي في مسألة انشقاق القمر كمعجزة دالة على صِدق محمد ربطوا -كما وضحنا من قبل- بين المعلومات المختلفة من شتّى الروايات، لكنهم لم يقدّموا السبب لاختيارها. وقد رفض سليمان أتيس معظم الروايات؛ لأن الرواة الموثوقين لم يكونوا شهودًا على الأحداث، ولأنّ

سليمان أتيس يمثّل الموقف الإسكاتولوجي، وجب عليه أن يرفض أيضًا ما تبقّى من روايات، لكنه علّل ذلك لحتمية افتراض أن الثقات من الرواة لم يتحدّثوا بمثل هذه الروايات من الأساس. أمّا المفسِّرون الآخرون -كأحمد مصطفى المراغي- فقد رفضوا الروايات بالكلية؛ لأنها بكلّ بساطة تتعارض مع تفسيراتهم حول الآية.

كذلك اتضح أنه من السهولة إدراك التعامل المعقّد والتعسفي مع الروايات، وبينما تسمح الآية القرآنية بتعدّد التفسيرات وسيَلان المعاني، فإنه يُفهم من الروايات النبوية أنها تدلّ في العموم على فهم الآيات في ضوء التفسير التاريخي من حيث الاستشهاد بها على معجزة صِدق محمد. ومَن ذهب إلى غير هذا التفسير وجب عليه رفض الروايات بشكلٍ جزئي أو بالكلية. لكن الروايات النبوية حول انشقاق القمر موجودة في كتب الحديث، علاوة على ذلك فإنها بحسَب القواعد الصارمة لعلماء الجرح والتعديل قد بلغت حدّ التواتر، أو على الأقل بلغت حدّ التواتر المعنوي، وبالتالي طبقًا للرؤية التراثية لا يمكن وصفها بالتدليس. كما أن تكذيب هذه الروايات يعني أن يَؤُول الأمر بالتشكيك في كامل الأحاديث المجموعة، ولا يوجد لدى رشاد خليفة وشبير أحمد وغلام أحمد برويز مشكلة في ذلك.

كما اتضح أنّ بعض الاختلافات في التفسيرات المتعدّدة متوقفة على التنوع الإقليمي بينها، إضافة لذلك تم التأكد بشكلٍ عام أن التفسيرات التي

نشأت في المنطقة العربية كانت محافظة أكثر من التفسيرات التي جاءت من خلفية باكستانية أو تركية أو حتى غربية أوروبية. فبينما جاءت نتائج المفسِّرين العرب ضمن إطار مستنتجات التفسير التراثي أو بالكاد أضافت إليها ولو بشكل بسيط، فإنّ تفسيرات الأقاليم الأخرى جاءت بتفاسير جديدة بالكلية، وهذا يتعارض مع رأي فيلانت (Wielandt)؛ لأنها ترى أن طريقة تناول التفسير تطورت أولًا في البلاد العربية وخاصة مصر[١]. وبينما يمكن أن تنطبق رؤية فيلانت هذه على الأعمال المصوغة بالتأويلية/ الهرمنيوطيقيا، إلا أن مستخرجات الأعمال التفسيرية تعطينا صورة أخرى، على الأقل فيما يتعلّق بالأعمال المذكورة في هذا البحث وقضية انشقاق القمر. وإذا كانت هذه الدراسة لم تثبت أنّ هناك ابتكارًا جوهريًّا من ناحية المنهجية، إلا أنه يمكن القول أنّ التفسيرات الأكثر (ابتكارًا) أو (تجديدًا) في حالتنا هذه جاءت من المنطقة غير العربية، لكن بشكل عام يبدو تأثير المناهج التأويلية/ الهرمنيوطيقية الجديدة على العملية التفسيرية هنا محدودًا.

فإذا كان التفسير الجديد في حالتنا هذه يرجع نوعًا ما إلى التفسيرات من خارج المنطقة العربية؛ ذلك لأن الرجال الذين كتبوا هذه التفسيرات ارتبطوا بشكلٍ محدود بالمصادر التراثية العربية وكذلك بالطريقة التفسيرية الموجودة

(1) Wielandt, „Exegesis“, 124.

بهذا التراث. وبينما تمكّن المسلمون العرب من إدخال الجزء الأكبر من التراث المتعلّق بمادة علوم القرآن إلى الحاسوب -معظم الأعمال التراثية ما زالت تُطبع بشكلٍ كبيرٍ، علاوة على ذلك فإنّ كثيرًا من هذه الأعمال متاح على صفحات الإنترنت في وقتنا الحالي- فإنّ المسلمين غير الناطقين بالعربية يعتمدون جزئيًّا على الترجمات أو على بعض الفقرات التي عُولجت من قبل في الأعمال التي لم تصدر باللغة العربية، وبالطبع ينطبق هذا الكلام على وجه الخصوص على المسلمين من غير العرب المعذورين بعدم تخصّصهم في الدراسات الدينية، أمّا المتخصّصون منهم فعادة ما يتمتّعون بتعليم مؤصّل في اللغة العربية، كما أنهم على دراية بالتراث العربي المتعلّق بعلوم القرآن. لذا فإنّ تفسيرات المصطلحات أمام جمهور لا يتحدّث معظمه اللغة العربية أمر ممكن، لكن الإشكالية تكمن أن هذه التفسيرات تلفت انتباه الجمهور العربي نوعًا ما، وقد تساءل بعضهم بالفعل في المنطقة العربية لما جاء تفسير القمر على أنه رمز للعرب، وأن راية قريش كانت قد تزينت به في زمن محمد.

لم تؤدِّ الاختلافات الجغرافية فقط إلى اختلافات في التفسير، بل تعدّى الأمر أيضًا ليشمل الاختلافات في الاستدلال نفسه؛ لذا ظهرت بكثرة قصة المِلك الهندي الذي شاهد انشقاق القمر في التفسيرات الحديثة في الهند وباكستان، على خلاف ذلك لم تظهر القصة مطلقًا في التفسيرات العربية الحديثة. وبينما تشتهر هذه الحجة على صفحات الإنترنت الناطقة بالإنجليزية

وذلك على الأرجح من خلال المسلمين ذوي الأصول الهندية والباكستانية، فإنّ هذه الحجة تظهر أيضًا ولو بشكل قليل جدًّا على صفحات الإنترنت العربية. ويمكن القول إنّ الصفحات العربية القليلة التي أشارت لهذه القصة، امتلكت المعلومات حولها من الصفحات الناطقة بالإنجليزية وذلك طبقًا للروابط الموضحة على هذه الصفحات[١]. لكن على عكس ذلك تبدو بعض الاستدلالات الأخرى منتشرة على نطاق واسع بشكل عالمي، مثل الاحتجاج المفترض عن انشقاق القمر من خلال الصور الملتقطة من وكالة الفضاء الأمريكية ناسا.

وبينما لم تثبت هذه الدراسة أيّة اختلافات تستحق الذِّكْر بين التفسيرات التي قدّمها المفسِّرون السُّنّة وتلك التي قدمها المفسِّرون الشيعة (لم تراعِ هذه الدراسة سوى مفسّرين فقط من الخلفية الشيعية)، إلا أن الجنوح الواضح عن هذه التفسيرات سواءٌ السنيّة أو الشيعية جاء بين الحين والآخر من خلال المذاهب والتيارات الأخرى. فالقول بالتفسير الرمزي وردَ في المقام الأول تقريبًا من أتباع الطائفة الأحمدية، كذلك ظهر التفسير (الابتكاري) على هامش الأقليات الإسلامية من خلال الجماعات المرتبطة بها، كتلك التفسيرات التي صدرت من جمعية (المسلمون المتحدون الدولية)، لكن ذلك لم يمنع من

(1) http://dhmen.blogspot.com/2007/08/blog-post.html (23.10.08), http://www.ipc-kw.com/ vb/showthread.php?t=460 (23. 10. 08).

ظهور هذه التفسيرات بطرق مختلفة من خارج المنتمين لهذه الجماعات. ففي حالة الأحمدية مثلًا يمكن أن تكون ترجمة القرآن الخاصة بهم هي المسؤول الأول عن انتشار مثل هذه التفسيرات؛ وذلك لشهرتها بين المسلمين الذين لا علاقة لهم بالطائفة من قريب أو بعيد، أمّا في حالة رشاد خليفة وجمعية (المسلمون المتحدون العالمية) التابعة له فإن السبب الأول لانتشار أفكاره يكمن بلا شك في الإنترنت.

لكن الفجوات بين تفسيرات العلماء المتخصّصين والتفسيرات التي أنتجها غير المتخصّصين من جهة وبين المقالات المتاحة على الإنترنت وبين التفسيرات التي أنتجها غير المتخصّصين من جهة أخرى كثيرةٌ وواضحة، وبشكلٍ عامّ ثبت أنّ تفسيرات العلماء المتخصّصين هي الأكثر محافظة فيما يتعلق بتعدّد التفسيرات التي تم الاعتماد عليها، وفيما يتعلق بالاستدلالات التي ساقوها. وبلا شك يمكن أن يتبنّى التفسير الذي أنتجه غير المتخصّصين أيضًا المواقف المحافظة، وأن يتضمن الحجج والبراهين، لكنه متأخّر بعض الشيء عن مستوى الاستدلال الذي يصدر من بعض العلماء المتخصصين في التفسير. كما ثبت أنّ هذا النوع من التفسير يتضمن أعمالًا لا يمكنها الصمود في وجه النظرة النقدية، كما أنها تعاني نقصًا في المتطلبات اللغوية اللازمة لعملية التفسير، كما أنها تُظهِر جهلًا كبيرًا فيما يتعلّق بالمعرفة العلمية. وفيما يتعلّق بالمقالات الموجودة على صفحات الإنترنت فإنها تمتد من العرض التفصيلي القائم على

مستوى عالٍ من الاستدلال مرورًا بالنقاشات الحادة حتى البيانات القصيرة، مع ذلك فإنها تعاني من جهل مركّب في شرحها لخواص الأجسام. كما أنه من الصعب التّفرقة بين الاقتباسات التي جاءت دون ذِكْر مصادرها، سواءٌ تلك المأخوذة من تراث العلماء من العرب والمسلمين، أو تلك الأفكار الكثيرة الموجودة على الإنترنت والمنقولة بشكلٍ حرفي إلى حدّ ما؛ لذا في كثير من الأحيان لا يمكن التأكّد من أين جاءت هذه الفكرة أو ذاك الدليل.

حتى الآن ما زالت الآفاق المستقبلية حول الانشغال العلمي بمادة التفسير المعاصر مهملة وينقصها دراسة مستفيضة، فلا يوجد حتى اللحظة دراسات حول نطاق وتلقي الأعمال ذات الصِّلَة بعلوم القرآن، وإلى حدّ بعيد لا يزال الغموض قائمًا بشكلٍ فعلي في وقتنا الحاضر عن أيّ الأعمال المتعلّقة بعلوم القرآن التي يطالعها ويتلقاها الناس، وما تأثير تلك الأعمال في الجدالات الدينية. وبناءً على هذا البحث المقدَّم تم التأكد بأنّ دراسة واحدة حول تفسيرات المتخصِّصين والتفسيرات التي أنتجها غير المتخصِّصين لا تكفي لمعرفة أيّ التفسيرات يتم مناقشتها بشكلٍ فعلي في النطاق الإسلامي. ولا شك أن النقاشات أيضًا قائمة على الإنترنت، لكنها تحدث بشكل موضوعي موجّه وعلى نطاق واسع لا يستهان به. على سبيل المثال تخطّى أحد الفيديوهات الذي يعرض صورًا ملتقطة للقمر كأدلة علمية على انشقاقه أكثر من ٣٥٠ ألف مشاهدة[١].

(1) http://www.youtube.com/watch?v=5uSckNalT7k (30. 11. 08).

كما أنه في إطار الدراسات الناقصة حول النطاق الجغرافي للتفسيرات والتلقي لها يمكن أن يُطرح هذا التساؤل: إذا كان المؤلِّف يستهدف جمهورًا معيّنًا من خلال كتابه الذي ألّفه أو من خلال وضع التصوّر الخاص به على الإنترنت، فما الدور إذًا الذي يلعبه هذا الجمهور المستهدف في الاستدلال ذاته؟ وبينما يظلّ تحديد الفئة المستهدفة من تفسيرات العلماء العرب واضح المعالم بدرجة ملحوظة، فإنّ هذا التحديد للمساهمات العلمية التي صدرت باللغات الأوروبية أمرٌ صعب المنال، وهل هذا الخطاب موجّه بالدرجة الأُولى للمسلمين، أم أن هذا الخطاب معنيٌّ (أيضًا) بغير المسلمين. كما أن الغالبية العظمى من المؤلِّفين لم ينتجوا توضيحاتهم لمختلف جمهور القرّاء؛ لأنهم لم ينتجوها بأكثر من لغة، لدرجة أن المقارنة المباشرة بين تلك الأعمال تعتبر أمرًا صعبًا، فكيف يتسنّى مثل هذه المقارنة إذا أخذنا في الحسبان أن هناك تفسيرات أنتجها شخص واحد، وأن هذه التفسيرات متاحة بلغات كثيرة وطبعات مختلفة (يمكن أن يكون محمد عليّ مثالًا على تلك الحالة)، لكن هذا يمكن أن يكشف النقاب عن عملية التأثير على الجمهور المستهدف.

كذلك فإنّ تنوّع الأعمال ذات الصِّلَة بعلم التفسير بسبب الاختلافات الإقليمية فيما بينها لم يلفت الانتباه بشكلٍ كبيرٍ حتى اللحظة، وما الدور الذي تلعبه الظروف الإقليمية العامة في عملية التفسير، وإلى أيّ مدى يمكن أن تؤثّر الجدالات في إقليمٍ ما على العملية التفسيرية في الأقاليم الأخرى؟ تبقى مثل هذه

التساؤلات غير معنيّة بالبحث إلى حدّ كبير. لكن المثير للاهتمام هو التطوّر الموجود في وقتنا الحالي في تركيا، حيث تناقَش المنهجيات التأويلية/ الهرمنيوطيقية الجديدة للقرآن من بين أمور أخرى من خلال ما يُسمّى (بمدرسة أنقرة)[١]، وما زال بعضهم مترقبًا، إلى أيّ مدى ستكون هذه المنهجيات الجديدة في المستقبل قابلة للتطبيق بشكل فعلي في العملية التفسيرية.

ما تزال الدراسة حول تفسير القرآن في بدايتها، وينطبق الكلام نفسُه بشكل أكبر على دراسة التفسير المعاصر، ويبقى الأمل أن تأتي الأبحاث المستقبلية لسدّ الثغرات العلمية الموجودة في هذا البحث.

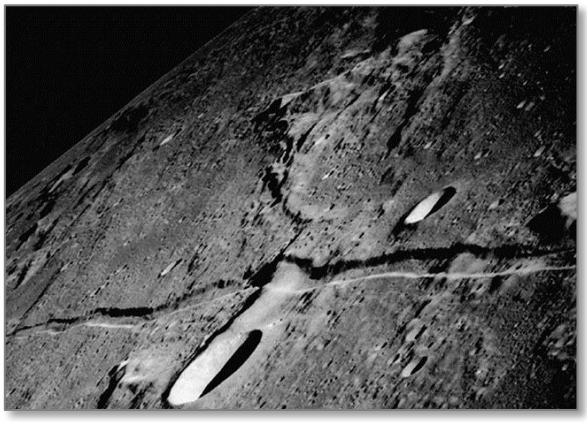

(١) انظر: Körner, *Revisionist Koran Hermeneutics*.